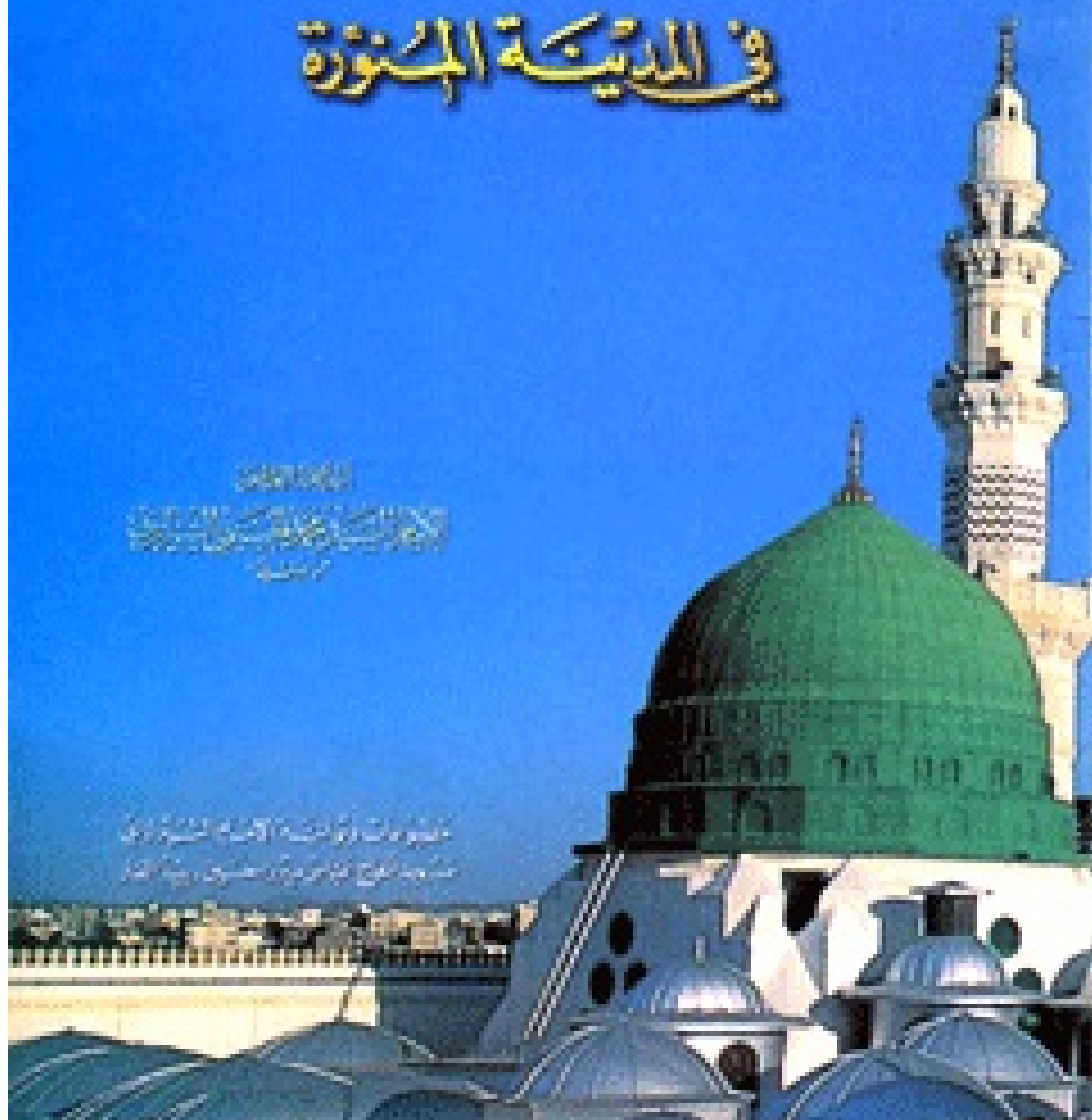
أول حكومة إسلامية

في المدينة المنورة



بسم الله الرحمن الرحیم

أول حكومة إسلامية فى المدينة المنورة

كاتب:

محمد حسينى شيرازى

نشرت فى الطباعة:

موسسة المجتبى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

أول حكومة إسلامية فى المدينة المنورة

اشارة

اسم الكتاب: أول حكومة إسلامية فى المدينة المنورة

المؤلف: حسينى شيرازى، محمد

تاريخ وفاة المؤلف: ۱۳۸۰ ش

اللغة: عربى

عدد المجلدات: ۱

الناشر: موسسه المجتبى

مكان الطبع: بيروت

تاريخ الطبع: ۱۴۲۲ ق

الطبعة: اول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

الرحمن الرحيم مالك يوم الدين

إياك نعبد وإياك نستعين

اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين أنعمت عليهم

غير المغضوب عليهم ولا الضالين

صدق الله العلى العظيم

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

لابد لكل شعب وأمة من حكومة وقيادة تقودها إلى الصلاح وتسهر على أمنها وتحافظ على تطبيق القانون الذى من خلاله يستطيع أن يمارس الشعب حرياته وحقوقه المشروعة.

وكثير من الحكومات والثورات تبدأ بشعارات وأفكار براقة من العدل والحرية والمساواة وما أشبه، ولكن سرعان ما تنجرف إلى هاوية الظلم والاستبداد فتصادر الحريات وتكبت شعوبها بالحديد والنار، وكل ذلك يرجع إلى أنها لا تنطلق من دافع الهى وسماوى، فلا رادع لها عن ممارسة الظلم إلا بالخوف من الله والعمل بالقوانين الحيوية الإلهية.

فجاء الدين الإسلامى لكى يمثل جميع الرسالات الربانية على مر التاريخ البشرى، فأصبحت الحكومة الإسلامية هى الوحيدة التى تضمن نشر العدل والمساواة والحريات والتعايش السلمى حتى مع الأقليات الدينية وغيرها.

وكانت أول حكومة إسلامية شكلها النبى الأكرم محمد صلى الله عليه و اله فى المدينة المنورة، مثالاً للحكومة الإلهية حيث تجسدت فيها أسمى صور العدالة والمساواة والمؤاخاة بين المسلمين كافة، بل حتى أهل الملل والأديان التى كانت تعيش فى ظل الإسلام، فأعطى الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله الصورة المتكاملة للدين الإسلامى الذى يهتم بأمور الدنيا وصلاحها كما يهتم بأمور الآخرة

وفلاحها، فحكومته صلى الله عليه و اله هى الأنموذج الصحيح أمام البشرية جمعاء فى مسألة الحكم والحكومة.

لذلك كان من الضرورى على المسلمين أن يتصفحوا التاريخ ويعيشوا فى أجواء (أول حكومة إسلامية فى المدينة المنورة)، فجاء هذا الكتاب لكى يرسم لنا الخطوط العامة للحكومة الإسلامية، ولقد لخصته أنامل المرجع الدينى الأعلى الإمام الشيرازى (دام ظله) التى لم تفتأ تجاهد بالقلم لتدافع عن الإسلام وتوضح معالمه السمحاء للناس أجمعين وذلك فى اكثر من ألف كتاب ودراسة وكراس.

وكان هذا الكتاب تلخيصاً وتعريباً مع بعض التغييرات لما كتبه الدكتور

حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الثقفى (دام مجده) باللغة الفارسية.

وقد قمنا بطبع هذا السفر القيم، إحساساً منا بأهمية الموضوع، سائلين من المولى التوفيق والقبول.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص ب ٦٠٨٠ / ١٣

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

تبحث هذه الرسالة عن كيفية تشكيل الدولة الإسلامية العادلة، وكيف أن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه و اله قد شكل هذه الدولة فى المدينة المنورة، وإن كان أساس هذه الحكومة منذ أيام الدعوة الإسلامية فى مكة المكرمة.

فقد قامت الدولة الإسلامية العادلة فى المدينة ابتداءً على قيام الروابط الحسنة مع جميع الأديان حتى مع اليهود، فقد كان الإسلام دائماً ديناً سمحاً يؤمن بحرية العقيدة ومبدأ التعايش السلمى بين معتنقى المبادئ المختلفة ويعتبر أهل الكتاب متساويين مع بنيه فى الحقوق والواجبات بطريقة أو بأخرى...

هذا وقد حاول اليهود مراراً أن يكيدوا مكائد شتى للدعوة الإسلامية ولأصحابها، وخاصة حينما رأوا زحفها الباهر وانتصاراتها الرائعة، فأخذوا ينشرون الأراجيف تارة، ويثيرون العصبيات القديمة بين العرب تارة أخرى، أو يدبرون المؤامرات لاغتيال الرسول صلى الله عليه و اله، أو يناصرون أعداءه، إلا أن الرسول صلى الله عليه و اله مع ذلك عقد معهم المواثيق والمعاهدات حتّى يعيشوا إلى جوار المسلمين فى أمان وسلام، فلاعدوان ولا خيانة ولا غدر.

هكذا فعل صلى الله عليه و اله مع يهود" بنى قريظة "و"بنى النضير "و"بنى القينقاع "وغيرهم()، لكنهم أبوا إلا إثارة الفتن والدسائس وناصروا المشركين المعتدين فى عدوانهم على الرسول صلى الله عليه و اله فى غزوة الأحزاب وفى غزوات أخرى.. ولم يردعهم عن ذلك عهود أو مواثيق، ولم يرجعوا عن غيهم وخيانتهم، مما اضطر الرسول صلى الله عليه و اله أن يقوم بإبعادهم عن المدينة المنورة من دون أن يقتلهم أو يسجنهم أو ما أشبه.. وذلك دفاعاً عن العهود المعتدى عليها، ودفاعاً عن حرمات المسلمين ومستقبلهم وحفاظاً على الدعوة الخالصة التى أمره الله بنشرها بين أرجاء العالمين دون تفرقة بين لون ولون، وجنس وجنس، ودين ودين.

و هكذا كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه و اله حسنة طيبة مع النصارى ومع المجوس بل ومع المشركين أيضاً.

وكان النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى من أهم العناصر الأساسية فى تشكيل الدولة الإسلامية، فقد تم استحداث النظام التعليمى لإعداد وتهيئة المعلمين وقرّاء القرآن ونشر الفقه والثقافة الإسلامية، فيما تم العمل على إيجاد نظام قضائى يتم بموجبه تعيين الحكام والقضاة، كما اهتم بالنظام الحربى لحفظ الأمن والدفاع عن الوطن الإسلامى من هجمات الأعداء، وذلك بإعداد مجموعة تتولى الحراسة وتراقب تحركات الخصوم وتفتيش الطرق المؤدية للنفوذ، بالإضافة إلى تهيئة قوة عسكرية تستطيع أن تنفذ إلى مواقع العدو فى حالة المساس بأمن الدولة الإسلامية، كما أنشأ حركة الخيالة لأجل الاطلاع على التحركات، كما أمر صلى الله عليه و اله

المسلمين بالتقدم التجارى والصناعى.

وهذه الشؤون المهمة التى تم تشكيلها فى الدولة الإسلامية، هى جزء من اختصاص النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى دولة المدينة، وكانت هذه المعايير سبباً فى حفظ أبعاد النبوة والرسالة مع بساطتها، وكانت تتحاشى الآداب والرسوم الحكومية، فكان التمدن الإسلامى الذى يشار إليه قد قامت دعائمه وشيدت أركانه فى دولة المدينة المنورة.

وهذه نبذة عن (أول حكومة إسلامية فى المدينة المنورة) وهى أسوة وقدوة لجميع الحكومات فى عالم اليوم وخاصة الإسلامية منها، وقد أخذتها من كتاب السيد الثقفى() مع بعض التغيير.

نسأل الله أن ينفعنا بها ويوفقنا لما يحب ويرضى وهو المستعان.

قم المقدسة

محمد الشيرازى

أثر الدين والمذهب فى المجتمع

قبل أن نشرع فى كيفية تأسيس حكومة إسلامية فى المدينة لابد من الإشارة إلى مدى تأثير الدين فى المجتمع، فإن هناك آثار كبيرة للدين على مختلف مسائل المجتمع، نشير الى بعضها:

۱: فى الموقع الجغرافى: فإن طراز السكنى وبناء الدور والمنازل فى المدن والقرى غالباً ما يشير إلى الآداب والعقائد المذهبية لأهالى تلك المنطقة، ففى الدول المسيحية عادة يكون مركز تجمع القروى حول الكنيسة، فطراز السكن وبناء الدور والمنازل تنسجم مع مقتضيات المذهب بشكل أو بآخر.

۲: أما بالنسبة للتخطيط السكانى: فزيادة السكان وقلته من توالد وتناسل غير بعيد عن تأثير المذهب، وهذا ما يلاحظ عند مطالعة الحياة الاجتماعية للأقوام، وكيف أن الأديان تقوم بتنظيم الروابط العائلية من القديم، وتقديس الزواج وتشوق الآباء والأمهات على إنجاب الأولاد.

فلو قايسنا التخطيط الديمقراطى الأوروبى بالتخطيط المذهبى نجد أن التوالد والتناسل يتفاوت بحسب الأديان التى يعتنقوها، فمثلاً: فى بعض أقسام المذهب البروتستانتى تجد الزيادة فى عدد المواليد على عكس ما فى بعض أقسام المذهب الكاثوليكى.

۳: مسألة هجرة الأقوام: فانها بالإضافة إلى الأسباب والعلل الطبيعية كالفيضانات، والمسائل الاقتصادية الناشئة عن جدب الأرض، فإن لها علل مذهبية أيضاً، وكذلك سفر المسلمين لأداء فريضة الحج، وأيضاً هجرة أكثر أهالى التبت بسبب المعتقدات المذهبية وما أشبه.

۴: بالنسبة للتشكيلات والنظام الاجتماعى: تتدخل الأديان والمذاهب فى الأنظمة والعلاقات الاجتماعية المختلفة وتؤثر فيها تأثيراً مباشراً، وفى هذا الصدد ما نشاهده فى التشكيلات الاجتماعية فى الهند المعروفة ب(كاست)، كذلك طبقة النجباء فى اليونان، ومستوى أحبار اليهود، وكهنة مصر القديمة، بالإضافة إلى ما نلمسه فى نظرات مفكرى الإسلام المتأثرة بالإسلام من حيث المساواة، نزولاً على حكم الآية الشريفة?: إن أكرمكم عند الله أتقاكم().?

۵: وكذلك بالنسبة إلى الاقتصاد، حيث يجتمعون فى أسواق خاصة وهكذا.

الأديان الثابتة

يمكننا تقسيم الأديان من وجهات النظر المتعددة إلى الدين الزردشتى، والدين اليهودى، والدين الكونفوشيوسى، والدين الإسلامى، وهذه الأديان يطلق عليها (الأديان الثابتة) لأنها تنظر إلى الحياة والأمور الدنيوية نظرة ثابتة وحتّى عند الظهور، فاستطاعت بنفوذها أن تؤثر تأثيراً مباشراً فى مجالات: الاقتصاد، والتربية، والتعليم، والسياسة، وحتى إن البعض منها: كالزردشتى، أو اليهودى، أو الإسلامى،

قام بتشكيل حكومة.

على عكس سائر الأديان: كالهندوسى، والمسيحى اليوم، مع أنها تعتبر من جملة الأديان الحية ولها أتباع ومريدون كثيرون، وهى من أكبر الأديان العالمية، إلا أنها من الأديان التى ليس فيها برامج للأمور الدنيوية من قبيل: الاقتصاد، والسياسة، والتربية، والتعليم، ولم يكن فيها إلا بعض النصائح الأخلاقية، إلا ما كان من المذهب البروتستانتى المسيحى، فبعد أن أعاد النظر فى تعاليم الكنيسة، كان أساساً لبناء المجتمع الغربى الجديد، ويحتمل أن يكون رأس المال أحد العناصر الأساسية والعلل الأصلية لظهوره.

تأسيس دولة المدينة

قام النبى الأكرم صلى الله عليه و اله فى المدينة المنورة بتأسيس حكومة دنيوية ودينية فى نفس الوقت مما اضطره لتخصيص قسم من وقته الشريف لأجل تنظيم الأمور الاجتماعية والأخلاقية والمناسبات السياسية القبلية والشؤون الحربية حتّى لا تنفصل الأعمال الدينية عن الأمور الدنيوية، كما كان سائداً فى دين اليهود والنصارى من انفصال الدين عن السياسة، فإن رجال دينهم كانوا مشغولين بالكنسية أى المسائل الدينية فقط ولاعلاقة لهم بالحياة الدنيوية، وكانت مقولتهم: (دع ما لله وما لقيصر لقيصر).

إن للدين المسيحى طبيعته ومبادئه الخاصة بأمور أخلاقية فحسب، ولرجال الكنيسة سلوكهم ومفاهيمهم التى لا تشتمل أمور الحياة، أما النبى محمد صلى الله عليه و اله فقد فهم الدين فهماً شاملاً متكاملاً، وكونه أصولاً وأحكاماً موحاة إليه، وكونه نسيجاً واحداً يضم الأخلاق الخاصة والعامة، ويتناول حياة الفرد وحياة الأمة، وينسّق العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ويرسى أسس السلوك الفردى والجماعى ويبين أحكام الحرب والسلم، ويدير شؤون الزواج والطلاق، والجريمة والعقاب، وحتى آداب السلوك الإنسانى فيما يتعلق بالطعام والشراب، والنوم واليقظة، والصدق والكذب، وله نظريته الخاصة فى المال العام وميزانية الدولة، والمال الخاص المملوك للأفراد، ومعاملة الزوجة والأبناء والخدم، وعلاقات الدولة الإسلامية بجيرانها من الدول على مختلف نظمها وأشكالها ولغاتها وأجناسها.

ولذا قيل: كان محمد صلى الله عليه و اله قيصراً وكان مسيحاً عليه السلام فى وقت وأحد إن صح هذا التعبير والمقصود منه أنه صلى الله عليه و اله كان يدير أمر الدنيا والآخرة معا.

وهناك شاهدان من التاريخ من أن الدين والمذهب ليس فقط يؤثر تأثيراً فى المجتمع والحياة، بل نراه بشكل واقعى واضح للعيان يأتى بالقدرة ويشكل الحكومة العادلة ومثل هذه الحكومة هى عين الديانة، بل تعتبر أصل الحياة، تلك الحكومة التى يقل نظيرها فى تاريخ البشرية، فكانت تدير المجتمع بقوانين السماء العادلة وبأصول ديمقراطية صحيحة.

فقد كتب المفكر (نهرو) رئيس وزراء الهند فى كتابه (نظرة فى تاريخ العالم) عن الحكومة العادلة لنبى الإسلام صلى الله عليه و اله فى المدينة قائلًا:

"نادى الإسلام بالأخوة والمساواة لكل الذين أسلموا، فأوجد نظاماً ديمقراطياً للناس، وهذا الشعار الأخوى الإسلامى لو قايسناه بالمسيحية الفاسدة فى ذلك الزمان، ليس فقط للعرب بل لأناس كثيرين من دول أخرى يدخل عليهم المسلمون، نجده يشدهم إليه ويجذبهم إليه جذباً."

فقد سن نبى الإسلام صلى الله عليه و اله الآداب الاجتماعية والتعاليم الدينية والحقوقية والمساواة وتحكيم الروابط الأخوية والقوانين العادلة وحقوق الحاكم والمحكوم وروابط الدولة والأمة والسنن والأنظمة الحياتية والاقتصادية بإلهام من الوحى والقرآن، فكان صلى الله عليه و اله أول من وضع أسس التمدن الحضارى التى لم يقتصر أثرها على المسلمين الذى بلغوا مراتب التهذيب والكمال المعنوى فحسب، بل شملت أسس المجتمع الحر والديمقراطى إلى هذا اليوم.

وليس كما يتصور البعض بأن التمدن الإسلامى قد حصل أيام حكومة بنى أمية وبنى العباس، بل يرد هذا التصور الخاطئ بسببين، هما:

۱: إن مؤسس التمدن الإسلامى هو نبى الإسلام صلى الله عليه و اله الواضع لأسسه والمشيد لأركانه.

۲: إن بنى أمية وبنى العباس قد حرّفوا التمدن الإسلامى وأخرجوه عن محتواه وإطاره الذى كان فى صدر الإسلام وفى أيام الرسول صلى الله عليه و اله.

۳: ما ظهر من التقدم فى زمانهم كان ببركة التعاليم الإسلامية وما سنه رسول الله صلى الله عليه و اله والفضل لا يعود إلا إلى الإسلام.

ولادة الأمة الواحدة

جاءت الحركة الإسلامية بشكل جديد، وجعلت من المجتمعات المتفكّكة مجتمعاً وأحداً منسجماً متعاونا، وأوجدت خطاً سياسياً منيراً، و كانت هذه الحركة تحت قيادة الرسول الأعظم النبى محمد صلى الله عليه و اله.

ومن أمعن النظر فى تاريخ النبى صلى الله عليه و اله وجد أن هذه الحركة الاجتماعية كانت ضرورة أرادها الله تعالى، وذلك بأن يبعث نبياً صادقاً أميناً يوجد أمة واحدة ومجتمعاً كبيراً منسجماً بعد أن كان متفككاً.. ويحدث تحولاً عظيماً نحو الخير والسعادة.

هذه الأمة التى تحولت من عبادة الأوثان والأصنام إلى عبادة الواحد القهار، هى التى وصفها أمير المؤمنين على عليه السلام فى (نهج البلاغة) بقوله:

"فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبنى إسحاق وبنى إسرائيل (عليهم السلام) فما أشد اعتدال الأحوال وأقرب اشتباه الأمثال تأملوا أمرهم فى حال تشتتهم وتفرقهم، ليالى كانت الأكاسرة والقياصرة أرباباً لهم يجتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا إلى منابت الشيح ومهافى الريح ونكد المعاش فتركوهم عالة مساكين إخوان دَبَر ووَبَر، أذل الأمم داراً وأجدبهم قراراً، لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على عزها، فالأحوال مضطربة، والأيدى مختلفة، والكثرة متفرقة، فى بلاء أزل، وأطباق جهل، من بنات موؤودة، وأصنام معبودة، وأرحام مقطوعة، وغارات مشنونة()."

الأديان فى الجاهلية

يقال: إن عدة من محلة النخلة القريبة من مكة جاءوا إلى نخلة كثيرة التمر، وكان تمرها يتساقط إلى الأرض، فقاموا بتنظيفها وجمع التمر المتساقط وذلك ليقيموا احتفالا إحياءً وتعظيماً للصنم" عزى "معبود العرب جميعاً الا من عصمه الله وخاصة قريش منها، وفى هذه الأثناء قال رجل فهم لأصحابه وإخوته: والله، إن قومكم ليسوا على شيء، وأنهم ضلوا وأضلوا، إن هذا الحجر الذى نصنعه لا يضر ولا ينفع، ولايسمع ولا يرى، العجب منهم أنهم يريقون الدماء من القرابين على رأسه، أيها الناس! تفرقوا عن هذا الجمع، واتخذوا ديناً غير هذا الدين الذى أنتم عليه واعتقدوا به.

ثم تفرق ذلك الجمع، واتخذ كل وأحد منهم رباً له ومعبوداً:

فعدة منهم: تحولوا إلى المسيحية، كان منهم (ورقة بن نوفل) ومعه جماعة.

وأعرض فريق منهم عن الأصنام وعبادة الأوثان وتركوا الأهل والصحب والديار.

والقسم الآخر بقى منتظراً خروج يد من الغيب حتى يقرر مصيره، فلما سمعوا نداء الإسلام ودعوة النبى محمد صلى الله عليه و اله أسلموا ولبوا.

أما بنو هاشم، وزهرة، وتيم، فقد عاهدوا الله المنتقم الجبار أن يكونوا مع المظلوم، حتى يأخذوا حقه ممن ظلمه، وهذا العهد هو ما يسمى ب"حلف الفضول "الذى دخله النبى محمد صلى الله عليه و اله وهو فى سن العشرين، وأقسم أن يدفع الظلم وينشر العدالة الاجتماعية، وقال صلى الله عليه و اله فى ذلك:

(ما أحب أن يكون لى بحلف حضرته فى دار ابن جَدْعان حُمُر النعم).

وفی هذا الحلف أنشدت الأشعار..

ومنها: قول ابن الزبير:

إن الفضول تعاقدوا وتحالفوا

ألا یقیم ببطن مکهٔ ظالم

أمر علیه تعاقدوا وتواثقوا

فالجار والمعسر فیهم سالم

تقبل العرب للإسلام

أحیاناً یطرح هذا السؤال: لماذا ظهر الإسلام وهو أحد الأدیان العالمیهٔ عند العرب؟

ولماذا اختیر نبی الإسلام صلی الله علیه و اله من بین قوم بدو؟

إذا بحثنا تاریخ الأعراب قبل الإسلام بشکل عمیق سنحصل علی الجواب.

قال ابن خلدون:

بنت الأعراب من العصبیهٔ القبلیهٔ قوهٔ اجتماعیهٔ ووحدهٔ متماسکهٔ، وکانت فاقدهٔ للقیادهٔ والقانون فقط، فجاء الإسلام بهذین السلاحین: فالقیادهٔ متمثلهٔ بنفوذ وشخصیهٔ محمد صلی الله علیه و اله والقانون متمثل بوحی السماء وهو القرآن، فبلغوا بهما أی القیادهٔ والقانون قمهٔ التمدن والوحدهٔ المنسجمهٔ المنشودهٔ.

وکان العرب أقواماً بعیدین عن الثقافهٔ والتمدن، أسری الأهواء الجاهلیهٔ، وفاقدی النظام، أما قوتها فکانت من جراء مقاومهٔ الطبیعهٔ، نشأت علی الجوع والمشقهٔ، وتحمل البرد والحر، وکانت علی الدوام لها حروب طاحنهٔ مع القبائل الأخری، تدافع عن نفسها وشرفها، ولها حملات مستمرهٔ، واستفادت من شجاعتها وتهورها، وکانت رابطهٔ القرابهٔ والعصبیهٔ فیما بینها قویهٔ جداً، وکانوا بعیدین عن التجملات والانشغال بعبادهٔ الملذات والشهوات، وکانوا أقرب إلی الفطرهٔ، وأما بالنسبهٔ للاعتبارات الأخلاقیهٔ: کالشجاعهٔ، والحمیهٔ، والوفاء بالعهد والقسم، والدفاع عن المواثیق حتی مواثیقهم، والعصبیهٔ بکل محتواها وأبعادها فقد کانت هی المسیطرهٔ والحاکمهٔ.

لم تستبد بمدینهٔ معتبرهٔ، ولم تجامل أحداً ولو کان عابداً، أو شبعاناً، أو یرتدی الملابس الثمینهٔ، وتغلب علیهم الصراحهٔ فی اللهجهٔ یتصفون بالکرامهٔ والشجاعهٔ الصحراویهٔ والبساطهٔ.

هذه الأبعاد والخلقیات هی التی أهلتهم لقبول الرسالهٔ العالمیهٔ لرجل مثل النبی صلی الله علیه و اله، وقانون مثل القرآن، نعم إن العرب أسرعوا إلی قیادهٔ محمد صلی الله علیه و اله وانضموا تحت لوائه، فبرزوا إلی الوجود کأمهٔ کبیرهٔ تحمل رسالهٔ عالمیهٔ وذلک ببرکهٔ الإسلام.

أسباب التغییر الاجتماعی

قال أمیر المؤمنین علی علیه السلام: (فانظروا إلی مواقع نعم الله علیهم حین بعث إلیهم رسولاً فعقد بملته طاعتهم، وجمع علی دعوته ألفتهم، کیف نشرت النعمهٔ علیهم جناح کرامتها، وأسالت لهم جداول نعیمها، والتفت الملهٔ بهم فی عوائد برکتها، فأصبحوا فی نعمتها غرقین وعن خضرهٔ عیشها فکهین، قد تربعت الأمور بهم فی سلطان قاهر، وآوتهم الحال إلی کنف عز غالب، وتعطفت بهم الأمور علیهم فی ذری ملک، ثابت فهم حکام علی العالمین، وملوک فی أطراف الأرضین، یملکون الأمور علی من کان یملکها علیهم، ویمضون الأحکام فیمن کان یمضیها فیهم)()، الخبر.

ولا شک أن السبب الرئیسی والوحید فی التغییر الاجتماعی للمجتمع الجاهلی یومذاک هو العامل المعنوی والثقافی والأیدیولوجی،

فرسول الله محمد صلى الله عليه و اله نبى الإسلام بإعطاء هذه الإيديولوجية الإلهية جعل من السراق الصحراويين على حد تعبير رستم القائد الإيرانى، من برزوا إلى الوجود كمسلمين طاهرين، من أمثال أبى ذر الغفارى (رضوان الله تعالى عليه).

النواة الأولى

كانت البعثة وظهور نبى الإسلام صلى الله عليه و اله بداية هذا التحول، وكان صلى الله عليه و اله قبل أن يبلغ دعوته بمدة قد ترك الحياة الدنيا ولذاتها، وأدار بوجهه عنها، كما فعل من قبله الأنبياء الصادقون عليهم السلام: كنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام.

فان فى المدرسة السماوية التوحيدية لابد للمصلحين الاجتماعيين ولأنبياء الله تعالى وقبل أن يقوموا بإبلاغ دعوتهم أن يقلعوا عن الماديات حتى يستلهموا من إشراق نورانية الوحى الإلهى، ويكون طعامهم المعنوى مشاهدة نور المعرفة، كما حصل لنوح عليه السلام من العناية الربانية فى إنقاذ نفسه وشيعته، (أى أصحابه) ولإبراهيم عليه السلام مشاهدة ملكوت السماء، ولموسى من التجلى الإلهى، ولعيسى عليه السلام فى الإصغاء للنداء السماوى وحتى قيل (بوذا) استلهم الإشراق من شجرة بودهى وكذلك رسول الله محمد الأمين صلى الله عليه و اله فى تأدية رسالته وصل إلى هذا المرحلة، وانتخب أولاً ترك الدنيا وملذاتها، وكان صلى الله عليه و اله يخلو مع نفسه فى ذهابه ومجيئه مشغولاً بالعبادة، وتحمل صلى الله عليه و اله مسؤولية كبرى بأمر الله تعالى حين خاطبه بقوله?: اقرأ باسم ربك الذى خلق() ?إلى آخر السورة.

نعم كانت البعثة نقطة الإشراق وبداية الرسالة والمسؤولية، وكان النبى محمد صلى الله عليه و اله قد قام بتشكيل أول مجتمع إسلامى يضم نفسه وزوجته خديجة بنت خويلد ?وابن عمه على بن أبى طالب عليه السلام وحين كان حدث السن.

فكان هذا المجتمع على خلاف ما كان مألوفاً من سنة الكهنة فى المجتمع الجاهلى عبدة" هبل "والأوثان الذين تعرضوا للسخرية والاستهزاء.

وهكذا شكل الرسول صلى الله عليه و اله مجموعة موحدة مؤلفة من ثلاثة أشخاص على مرأى ومسمع من قريش.

وقد وصف الإمام على عليه السلام ذلك اليوم بقوله:

(ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ فى الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه و اله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحى والرسالة وأشم ريح النبوة)()، الخبر.

الدعوة الموفقة ودور أبى طالب عليه السلام

ذكر المؤرخون أسماء عدة من الصحابة فى الصدر الأول، الذين دخلوا الإسلام ولبوا دعوة النبى صلى الله عليه و اله، وقد عرفت هذه المجموعة المؤمنة والجماعة الموحدة فى المجتمع المكى وكانت شاخصة للعيان.

ولما أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه و اله أن يصدع بما أمر به() قام صلى الله عليه و اله بإظهار دين الله ودعا الناس إلى الإسلام على رؤوس الأشهاد وذكر آلهة قريش وعابها، فأعظمت ذلك قريش وأنكروه وأجمعوا على عداوته وخلافه وأرادوا به السوء، فقام أبو طالب عليه السلام بنصرته ومنعه منهم وذب عنه من عاداه وحال بينه وبين كفار قريش بأحسن صورة.

ولمحاماة أبى طالب عنه صلى الله عليه و اله وقيامه دونه وامتناعه من أن يسلّمه وإيمانه به، مشى إليه رجال من أشراف قريش، منهم: عتبة بن ربيعة، وأخوه شيبة، وأبو سفيان صخر بن حرب، وأبو البخترى بن هشام، والأسود ابن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمثالهم من رؤساء قريش، فقالوا له: يا أبا طالب! إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آراءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلى بيننا وبينه.

فقال لهم أبو طالب عليه السلام قولاً رقيقاً وردهم رداً جميلًا، ولم يرض بما أرادوا فانصرفوا عنه.

ومضـى رسول الله صـلى الله عليه و اله على مـا هو عليه يظهر دين الله ويـدعو إليه، فوقع التضـاغن فى قلوبهم حـتى أكثرت قريش ذكر رسول الله صـلى الله عليه و اله بينهـا وتـذامروا فيه وحض بعضـهم بعضاً عليه، فمشوا إلى أبى طالب() مرة ثانيـة، فقالوا: يا أبا طالب! إن لك سـناً وشـرفاً ومنزلـةً فينا وإنا قد اسـتنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على شـتم آبائنا، وتسـفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، فإما أن تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا.

فعظم على أبى طالب عليه السـلام ذلك ولـم تطب نفسه بخذلان ابن أخيه، وذلك لإيمانه العميق برسول الله صـلى الله عليه و اله فبعث إليه فقال له: يابن أخى إن قومك قد جاؤونى فقالوا لى: كذا وكذا.

فقال صـلى الله عليه و اله: يا عم! والله، لو وضـعوا الشـمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهره الله أو أهلك فيه().

ثم استعبر صلى الله عليه و اله باكياً وقام وخرج، فلما خرج ناداه أبو طالب عليه السلام: أقبل يابن أخى.

فأقبل صلى الله عليه و اله راجعاً.

فقال له: اذهب يابن أخى! فقل ما أحببت، فوالله لا أسلّمك لشىء.. أبدا، وأنشد أبو طالب عليه السلام():

والله لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أوسد فى التراب دفينا

فانفذ لأمرك ما عليك مخافة

وأبشر وقر بذاك منك عيوناً

ودعوتنى وزعمت أنك ناصحى

ولقد صدقت وكنت قبل أمينا

وعرضت ديناً قد علمت بأنه

من خير أديان البرية ديناً

وهناك أدلة وشواهد كثيرة على إيمان أبى طالب عليه السلام، مذكورة فى مظانها().

هجرة فى طريق العقيدة

قد يطرح هذا السؤال وهو: لماذا اختار النبى محمد صلى الله عليه و اله هجرة أصحابه إلى الحبشة؟

وللإجابة على هذا السؤال لابد من ذكر بعض النقاط الدينية والسياسية:

۱: لم يؤيد رسول الله صـلى الله عليه و اله) هجرة أصـحابه إلى اليمن، لأنه كان على علم من أن اليمن كانت تحت نفوذ وسيطرة الدولة الساسانية، إضافة إلى عدم الاستقرار والأمن السياسى فيها، وتأثيرات عبدة الأوثان والزردشتيين فيها من خلال نفوذ السلطة الساسانية.

۲: وهذه الموارد فى اليمن تصدق على العراق أيضاً.

۳: وأمـا بالنسبة إلى الشـام فبالإضافـة إلى الاضـطراب السياسـى فيها، كانت لها روابط تجاريـة مع قريش، ويمكن للحكام والمتنفـذين وبأسرع وقت أن يثوروا على المسلمين ويلقوا عليهم القبض ثم يعذبونهم أو يقتلونهم.

۴: ومن الطبيعى أن يكون الانتخـاب الصـحيح هو الحبشـة، لأـن الحبشـة فى زمـان رسول الله صـلى الله عليه و اله كـان الأمن فيها ثابتاً، والاسـتقرار السياسـى موجوداً، وكان ملكها (النجاشى) ذا حكمة ومتانة وثبات رأى وشهرة، إضافة إلى قرب الحبشة من مكة المكرمة، ولم يفصلها عنها إلا بعض البحار، ويستطيع المسلمون من الهجرة إليها أو الرجوع منها على وجه السرعة..

بالإضافة إلى أن الحبشة كانت مسيحية والمسلمون يحترمون دين المسيح عليه السلام، وكان النبى صلى الله عليه و اله مطمئناً بأن أصحابه وأتباعه يمكنهم من المهاجرة إلى بلاد الحبشة بكل هدوء وراحة، بدون تعرض لمشقة أو أذى، ومنها كان الانتخاب الصحيح: الحبشة، فأمر صلى الله عليه و اله بهجرة أصحابه الى الحبشة..

سفير الرسول صلى الله عليه و اله إلى النجاشى

المهاجرون إلى الحبشة بقيادة جعفر بن أبى طالب (عليهما السلام) تذاكروا مع النجاشى ملك الحبشة، وكان الملك شخصية مرموقة وحاكماً عادلاً.

فتكلم جعفر عليه السلام وقال له: أيها الملك! كنا أهل جاهلية لا نعرف الله ولا رسله، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، وكنا على ذلك حتى بعث الله رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بالمعروف، ونهانا عن المنكر، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وكل ما يعرف من الأخلاق الحسنة، ونهانا عن الزنا والفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وكل ما يعرف من السيئات. تلا شيئاً يتلى لا يشبهه شيء..

فصدقناه وآمنا به، وعرفنا أن ما جاء به هو الحق من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له، وحرمنا ما حرم الله علينا، وأحللنا ما أحل لنا، ففارقنا عند ذلك قومنا، فآذونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا، وبلغنا ما نكره ولم نقدر على الامتناع، أمرنا نبينا صلى الله عليه و اله أن نخرج إلى بلادك اختيارا لك على من سواك، ورغبنا فى جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال لهم النجاشى: هل معكم مما جاءكم به عن الله تعالى شيء؟

فقال له جعفر صلى الله عليه و اله: نعم.

قال: فاقرأ علىّ؟

فقرأ عليه صدراً من؟ كهيعص().?

فبكى النجاشى حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلت لحاهم ومصاحفهم، ثم قال: والله، إن هذا الكلام هو الكلام الذى جاء به عيسى عليه السلام ليخرجان من مشكاة واحدة.

وهكذا باءت خطة قريش بالفشل، وبقى المهاجرون فى الحبشة حيث الطمأنينة وحسن الجوار والسمعة الطيبة للإسلام العظيم، بسبب روح الالتزام الخلقى الذى أبداه المهاجرون فى وطن الهجرة.

الأنبياء عليهم السلام وتحمل الصعاب

إن الأنبياء الإلهيين عليهم السلام كانوا صورة مجسدة للحب الإلهى، ولماذا لا يكونون كذلك؟ وهم قد بلغوا بنظرتهم العميقة الشاملة حداً سامياً من المعرفة الإلهية.. فعرفوه تعالى أكثر من غيرهم ورأوا أن عظمته وجلاله أسمى وأعظم من أى شىء آخر، وعلموا بأنه تعالى أهل المحبة والطاعة فلم يكن لهم فى حياتهم إلا أن يحققوا رضاه، ولم تتعلق قلوبهم إلا به وكل شىء لديهم فداء له ...فهم على وعيٍ متكامل بعظمة معبودهم وجلاله.

ولهذا السبب فإن الأنبياء عليهم السلام كانوا فى المجال التبليغى يتقبلون التعرض لكل المشاكل والحوادث الصعبة، وتراهم فى أغلب الأزمات الشديدة يتوجهون بوجه طلق ملؤه الخضوع والاطمئنان والاجلال إلى الله تعالى ...وتغمر أرواحهم هالة من سرور، إذ

يتصورن أن كل تلك المتاعب إنما هى فى سبيل الحبيب الواقعى.. فى سبيل الله.. فى سبيل الحق والحقيقة.

وهـذا السـنة الاجتماعية هى عين السـنة الإلهية التى لا تتغير فيحالفها التوفيق والنجاح بعد المشـقة والعسـر والحرج، قال تعالى?: فإن مع العسر يسرا ? إن مع العسر يسرا().?

ومع أن نبى الرحمة صـلى الله عليه و اله كان يرى الأذى والعذاب من قومه إلا أن خصلته النبوية ونفسيته العظيمة أبت إلا أن يطلب من الله تعالى لهم الرحمة والهداية، كما عبر صلى الله عليه و اله عن ذلك بقوله:

(اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون)().

وقال تعالى?: وانك لعلى خلق عظيم().?

بيعة العقبة

وفى السـنة الحادية عشرة من البعثة النبوية الشريفة جاء جمع من أهل يثرب والذين سموا فيما بعد ب(الأنصار) إلى مكة المكرمة لأداء مراسم الحـج، فالتقوا بالنبى صـلى الله عليه و اله فى عقبـة منى فهـداهم الله إلى الإسـلام والتوحيد، فبايعوا النبى صـلى الله عليه و اله من صميم قلوبهم وعاهدوه أن يكونوا تبعاً له ولا يخالفون له أمراً..

فأرسل النبى صلى الله عليه و اله إليهم (مصعب بن عمير) ليقرأ لهم القرآن ويعلمهم مبادئ الإسلام..

فأخبر مصـعب النبى صـلى الله عليه و اله من المدينة: بأن أرض يثرب مناسـبة للعيش فيها ولنشـر الدعوة الإسلامية منها، وكل يوم يزداد عدد الذين يدخلون فى الإسلام طوعا، من دون ضغوط أو تعذيب يواجهونه من المخالفين.

فاستبشر النبى صلى الله عليه و اله سيما وأن اليثربيين قد واعدوه: لو أن الله تعالى وحدهم بسببه فسيكون عزيز الجانب.

معاهدة العقبة الثانية

وفى السـنة التى بعدها، أى السنة الثانية عشرة من البعثة المباركة، وهى سنة (۶۲۲م) زاد عدد الزوار اليثربيين، وكان من بينهم (۷۵) من المسلمين: (۷۳) من الرجال و(۲) من النساء، ودعوا رسول الله ان يهاجر اليهم.

فوجـد النبى صـلى الله عليه و اله المدينة أرضاً صالحة لإبلاغ دعوته السـماوية، فعقد معاهدة مع اليثربيين على أن يكون المسـلمون فى أمان دون أن يلحقهم أذى المشركين واضطهادهم إن لجئوا إليهم.

فأخـذ (البرآء بن معرور) يد النبى صـلى الله عليه و اله وقال: والذى بعثك بالحق لندافعن عنك كما ندافع عن أنفسـنا وأهلنا، يا رسول الله! فنحن رجال حرب مجربون، وهذا سلاحنا الذى بأيدينا قد ورثناه من آبائنا جيلًا بعد جيل.

ثم قال صلى الله عليه و اله: انتخبوا منكم اثنى عشر رجلا لينظروا فى مشاكلكم، ورأيهم يكون حجة لكم.

فحضر ممثلو الأنصار وكان تسعة منهم من خزرج وثلاثة من الأوس عند رسول الله صلى الله عليه و اله، وأسماؤهم مسجلة فى التاريخ.. فكانت بيعة العقبة الثانية.

لماذا أقدم النبى صلى الله عليه و اله

على التشكيلة السياسية للدولة

وهنا من الممكن أن تطرح بعض الأسئلة الأساسية فى تبيين الإسلام وتكوين دولة النبى صلى الله عليه و اله، منها:

۱: لماذا أقدم النبى صلى الله عليه و اله على السياسة؟

۲: لماذا انتصر الإسلام فى المدينة المنورة دون مكة المكرمة؟

۳: ما هى موانع تقدم الإسلام فى مكة المكرمة فى ابتداء البعثة.

وقبل الإجابة على هذه الأسئلة يتبادر إلى الذهن سؤال آخر ينبغى الابتداء به والإجابة عليه، وهو: انه هل كان فى ذهن رسول الله صلى الله عليه و اله فى بدء الدعوة هذا الطرح الحكومى النظرى؟ أو أن الإسلام هو دين التبليغ للتوحيد والوعد بالآخرة فقط.

إن النبى صلى الله عليه و اله لم يبعث كبعض الأنبياء (عليهم السلام) يبلغون التوحيد الإلهى والبشارة بالآخرة فقط، بل بعثته كانت أشمل ودينه كان خاتما للأديان فلم تكن الحكومة بما هى هى، هى كل شيء فى نظره صلى الله عليه و اله لكن كان دينه دنيا وآخرة وكان لازماً لرسالته أن يشكل مثل هذه الحكومة المباركة التى أسسها فى المدينة المنورة وأن يطرح مثل هذا البرنامج المثالى للعالم بأجمعه، وهناك شواهد لإثبات هذا المطلب، منها:

۱: قوله صلى الله عليه و اله: (يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا()، وتملكوا به العرب، وتذل لكم العجم، وإذا آمنتم كنتم ملوكاً فى الجنة).

۲: نقل ابن إسحاق، عن الزهرى قال: فحينما أسلم بنو عامر على يديه صلى الله عليه و اله قال له أحدهم: أرايت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال صلى الله عليه و اله: الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء().

فالإسلام من بدء الأمر كان يهتم بمسألة الحكومة والتشكيلات الاجتماعية وكانت هذه موجودة فى برنامج النبى صلى الله عليه و اله وذلك لأن الإسلام دين للدنيا والآخرة كما سبق قال تعالى?: ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار()، ?وقد وعد صلى الله عليه و اله ذلك بقوله: (لو أسلم العرب ملكوا الدنيا)().

ونبى الإسلام صلى الله عليه و اله كما كان مصلحاً اجتماعيا فقد كان نبياً، ومن أهدافه أن يبعد الحرج والمشقة والعسر عن المجتمع، فيعطيهم الحريات الإسلامية الكثيرة ويحل لهم الطيبات، وينهى عن المنكرات والخبائث، ويحقق العدل الاجتماعى، ويزيل التمايز العدوانى، ويمحيه من الوجود.. قال تعالى فى وصفه صلى الله عليه و اله?: ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم().?

سبب تقدم الإسلام فى المدينة

فى المدينة المنورة كان الناس يدافعون عن النبى محمد صلى الله عليه و اله، وكانت لهم معرفة بالمفاهيم الأساسية للإسلام ويؤمنون به:

كاعتقادهم بأن الله سبحانه خالق الكون، وإله العالم، وهو الحاكم يوم القيامة، وأن محمداً صلى الله عليه و اله هو نبى الله وخاتم المرسلين ويحمل الرسالة الإلهية إلى العالم بأجمعه و...

وذلك لأن اقتباس وأخذ المعارف والثقافات لمجتمع من مجتمع آخر يستلزم دائماً وجود الشرائط الاجتماعية التى تعتبر هذا الأمر إيجابياً، فيمكن أن يتلاءم وينسجم من هذا الوجه، ومن الممكن فى الثقافتين من وجهة نظر الموقع الجغرافى أن تؤثر إحداهما على الأخرى لتماسهما وقربهما من الأخرى، فالمعارف العالية والثقافة الجيدة وخاصة التعاليم الإسلامية التى كانت مطابقة لفطرة الإنسان، لها تأثيراتها المباشرة فى الثقافة المنحطة، وهكذا أثرت ثقافة الإسلام فى ثقافة أهل المدينة.

كان (سويد بن صائب) من كبار يثرب، وكان يسمى ب(الكامل) لذكائه وشرفه ونسبه، قيل: إنه قبل أن يلتقى بالنبى صلى الله عليه و اله جاء مع المدنيين إلى مكة لأداء الحج، وبعد أن فرغ من أعمال الحج، رآه النبى صلى الله عليه و اله) ودعاه إلى الله والإسلام.

فقال سويد: الشيء الذى عندك مثل الذى عندى.

فقال النبى محمد صلى الله عليه و اله: وما هو الشيء الذى عندك؟

فقال سويد: حكمة لقمان.

فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: أرنى إياها.

فعرض سويد على النبى صلى الله عليه و اله ما يعرفه من حكم لقمان.

فقال صلى الله عليه و اله: هذا الكلام لطيف، ولكن أجمل منه ما هو عندى، إنه القرآن الذى أنزله الله على، وفيه النور والهداية.

ثم قرأ صلى الله عليه و اله بعض الآيات من القرآن الكريم لسويد بن صائب، ودعاه إلى الإسلام.

وما أن سمع سويد ذلك حتى نفذ إلى قلبه وقال: هذا شيء حسن، وأخذ يفكر، ثم أسلم.

وهكذا أخذ الإسلام يغزو القلوب، بالحكمة والموعظة الحسنة، لا بالسيف والقهر.

بدء الإسلام فى مكة المكرمة

وهنا يمكننا أن نقول: إن الوضع الروحى والثقافى بل والاقتصادى لأهل مكة كان هو السبب الرئيسى فى عدم تقبلهم الإسلام فى بدء الأمر، وسنشير إلى بعض العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بذلك:

١: أشار القرآن الكريم إلى عدم قبول دعوة الحق من قبل عرب الجاهلية، بدليل وجود عامل التعصب، والروح العصبية المتحكمة فيهم، فقال عز من قائل?: إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية().?

وقال سبحانه فى موضع آخر?: وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا().?

وقد وصف الشاعر الجاهلى هذا التعصب بقوله:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهاناً

٢: فى مجتمع الحجاز كان التبليغ والرواج لأى نوع من المذاهب والأديان عملاً يواجه الرفض عادة فكانوا عبدة الأوثان، وكان هناك من الأعراب من يقول بمذهب الزنادقة والطبيعيين?: وما يهلكنا إلا الدهر().?

حتى أن التاريخ قد روى عن قبيلة بنى حنيفة أنها كانت تصنع لها رباً من التمر، وتبقى مدة تعبد هذا الرب التمرى ولكن عندما كان يصيبها القحط وكانت تشرف على الهلاك من الجوع تأكله، وفى هذا الصدد يقول الشاعر:

أكلت حنيفة ربها

زمن التقحم والمجاعة

ومن جانب آخر كان بين المشركين من بقايا دين إبراهيم عليه السلام: كالنكاح، والختان، ومناسك الحج، واحترام الأشهر الحرم، وبعض الآداب الدينية، وفى مقابل هذا جاءت مجموعة من الغلاظ الجفاة الجامدين فكانوا لا يخرجون من الحرم المكى، ولا يقفون مع الناس فى عرفات، ويقولون: نحن أبناء الله! ولنا أن لا نخرج من حرمه.

٣: والعامل الاجتماعى والاقتصادى: هو خسران الرياسة والتجارة، فالكعبة أو الأوثان المتعددة بالنسبة لقريش هى رمز لوحدة العرب ووسيلة لرياستها على قبائل العرب الأخرى.

بالإضافة إلى أن مكة المكرمة كانت مركزاً تجارياً مهماً للعالم فى ذلك الوقت، فقريش التى تسافر للتجارة سفرتين إلى الشام واليمن رحلة الشتاء والصيف جعلت من مكة مركزاً تجارياً مهماً، كما أقامت سوقاً تجارياً لكل فصول السنة، خصوصاً أيام الحج.

ولذا كانوا يتصورون انهم إذا آمنوا بالرسول صلى الله عليه و اله تسقط مكانة مكة الاجتماعية والتجارية.

الهجرة المباركة

حينما هاجر النبى صلى الله عليه و اله من مكة المكرمة قاصداً المدينة المنورة، كان اليثربيون يترقبون لقاء رسول الله صلى الله عليه و اله بكل شوق ولهفة ويعدون اللحظات لذلك اللقاء.

فلما أبلغهم أحد اليهود والذى شاهد النبى صلى الله عليه و اله: بخبر قدوم النبى صلى الله عليه و اله، استبشروا بذلك كثيرا وفرحوا شديدا واجتمعوا فرساناً ورجالة مبتهجين بقدوم النبى صلى الله عليه و اله وقاموا بإنشاد الأشعار، واحتفى به الفتيان والشبان معبرين عن فرحتهم بقدوم النبى صلى الله عليه و اله، واخذوا يهتفون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

الأرضية الصالحة لتشكيل الدولة

يرى المفكرون من رجال القانون والسياسة أنه من الضرورى واللازم لتشكيل الدولة: وجود وتوفر بعض الشروط التى هى العناصر الأساسية لتشكيل الحكومات، فمنها:

۱: الجمعية (الأمة).

۲: التراب والماء والفضاء.

۳: الكادر السياسى.

ثم إنه مهما يكون دخيلا فى مبدأ ومنشأ الأمة والدولة: كالاحساسات والمنافع المشتركة، فالحياة المشتركة والتعاون بين الأفراد تأتى من تأثير عامل أو مجموعة عوامل، منها:

۱: الولادة المشتركة من أب وأحد.

۲: اللغة.

۳: المذهب.

۴: الآمال المشتركة.

۵: الموقع الجغرافى والتجمع السكنى الواحد.

۶: المتطلبات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المشتركة.

وهذه كلها كانت متوفرة فى (المدينة المنورة) بالنسبة إلى العرب القاطنين فيها وخصوصا بعدما اعتنقوا دين الإسلام، فكانت هناك أرضية صالحة أوجدها رسول الله صلى الله عليه و اله للحكم الإسلامى ولتشكيل الدولة الاسلامية.

سكان المدينة الأصليين

كانت تعيش فى (يثرب) مجموعتان من الناس، هما: العرب وبعض اليهود، ولكل منهما روابط مختلفة حسب العصور المختلفة كأيام الحرب وأيام الصلح.. وكانت روابط هذه الطوائف مع بعضها وتحولاتهم الاجتماعية والسياسية بفعل انتصار النبى صلى الله عليه و اله أدت إلى انتقال المسلمين المؤمنين من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وكانت خطوة مهمة جداً فى تاريخ المدينة.

هجرة بعض اليهود إلى المدينة

لم يحدّث التاريخ على وجه التحديد كيف هاجر بعض اليهود إلى المدينة وفى أى زمان؟

فقيل: إن هجرة بعض اليهود إلى المدينة كانت سنة (۱۳۹م) وهى السنة التى اندحر فيها ملك الروم.

والظاهر إن كثيرا من اليهود كانوا يعرفون بأن خاتم الأنبياء سيأتى إلى المدينة ويقطن فيها، فجاؤوا وسكنوا فى المدينة ليؤمنوا به،

ولكنهم عندما عرفوه لم يؤمنوا به، نعم آمن منهم الكثير. وعلى أي حال فهؤلاء اليهود اتخذوا من المدينة مسكنا لهم، واشتغلوا بالزراعة وغرس الأشجار في القصبات، وكان عملهم الدائمي هو التجارة وأكل الربا.

تاريخ قبيلتى الأوس والخزرج

كما لم يعلم بالضبط متى وكيف دخلت قبيلتا (الأوس) و(الخزرج) وهما قبيلتان عربيتان من عرب اليمن القحطانية (يثرب).

لكن قيل: إن مجيئهم إلى المدينة كان بعد انهدام سد مأرب وخراب اليمن، فقطعوا مراحل من الجنوب حتى وصلوا الشمال ويثرب، وسكنوها لطيب هوائها وعذوبة مائها وكثرة الماء في نقاطها المختلفة، كما أن البعض الآخر من عرب القحطانية أوجدوا دولاً أخرى كالغسانيين في الشام، وآل منذر في العراق، ودولة كندة في نجد.

كانت يثرب وتهامة تدفع ضرائبها إلى المرزبان الممثل السياسي للدولة الإيرانية، ولكن اليهود امتنعت من تسليم الضرائب للمرزبان، ولم تكتف بهذا فقط، بل أخذت تضغط على العرب وذهبت إلى استلام الضرائب المالية من عرب يثرب، وقد وصف الحالة بعض شعراء الأنصار، بقوله:

لا دنيا خراجاً بعد كسرى

إلى رهطى قريظة والنضير

واستمر الوضع على هذه الحالة إلى أن تكررت الهجرة من الأعراب إلى يثرب فازداد عدد نفوسها، ونشئوا البساتين وأثبتوا واقعهم، ولكن اليهود كانت لهم طلبات زائدة وكانوا يضيقون على جيرانهم.. ومع وجود المواثيق والعهود بين العرب واليهود لكن اليهود كانوا يبدؤون بالحرب ويشتعلون نار الفتنة دائما.

إلا أن الأعراب وبإشارة من قائدهم مالك بن عجلان الخزرجي تمكنوا من إقامة روابط مع ملوك الغسانيين في الشام، وطلب المساعدة لمواجهة العدو، واستطاع مالك أن يجعل من قبيلتي الأوس والخزرج قوة عظيمة في مقابل اليهود، كي يمنعوهم من التعدى على الآخرين.

هذا وعندما أسلم العرب وصاروا قوة عظيمة جدا وذلك ببركة الإسلام لم يبق لليهود قوة في المدينة.. فإن كثيرا منهم اسلموا وصاروا من ضمن المسلمين وبقى بعضهم على دينهم وكانوا يحاربون رسول الله صلى الله عليه و اله ويعملون ضد المسلمين.. حتى انه كانت هناك جماعة في الأوس من المنافقين قد تحالفوا مع اليهود، وأخذوا يعملون ضد المسلمين، لذا وصفهم الله تعالى في كتابه الكريم، بقوله?: ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم().?

ومن الحوادث التي وقعت قبل الإسلام، الحروب الطاحنة في الجاهلية التي أدت إلى سفك الدماء، والخراب والدمار، وتعرف تلك الحروب، بأيام العرب كما جاء في تاريخ العصر الجاهلي.

فاستمرت الحرب بين الأوس والخزرج (١٢٠) عاماً، وأشار اليعقوبي وغيره من المؤرخين إلى أهم أيام الحرب بين القبيلتين حسب الترتيب:

١: يوم صفية.

٢: يوم سرارة.

٣: يوم بنى خطمة.

۴: يوم بعاث.

۵: يوم فجار.

التحولات الأساسية فى مجتمع المدينة

لم يكن النبى صلى الله عليه و اله نبياً مصلحاً فحسب، بل كان قائداً اجتماعياً وزعيماً سياسياً، فإلى جنب تبليغ رسالته، كان عليه حل المشكلات، وقد رأى النبى صلى الله عليه و اله ضرورة التحول الاجتماعى فى المدينة المنورة فقام بحل المسائل التالية:

۱: تعيين حقوق ووظائف شخص الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله، وكذلك تعيين حقوق ووظائف الساكنين المحليين.

۲: تنظيم السكن للمهاجرين المكيين.

۳: التفاهم مع غير المسلمين الساكنين فى المدينة، وبالأخص منهم اليهود.

۴: تأمين الغرامات نتيجة الخسائر فى الأرواح والأموال للمهاجرين التى تسببها قريش مكة.

كما قام النبى صلى الله عليه و اله ببعض الأعمال الأساسية، منها:

۱: تغيير اسم يثرب.

لقد صمم نبى الإسلام صلى الله عليه و اله بتغيير اسم يثرب، ويعتبر هذا الإقدام ضرورة عقلية اجتماعية، فاسم" يثرب "يعنى محل المرض، أما الاسم الجديد الذى انتخب صلى الله عليه و اله لها فهو" طيبة "وتعنى: الطهارة.

وبعد نزول الرسول صلى الله عليه و اله فيها سميت ب" مدينة الرسول."

وقد ألقى الاسم الجميل" طيبة "أثرا كبيرا فى نفوس أتباعه وأصحابه صلى الله عليه و اله.

۲: بناء مسجد المدينة.

ارتأى النبى صلى الله عليه و اله إن بناء مسجد فى المدينة يؤدى إلى انسجام المسلمين ووحدتهم، فشرع فى ذلك.

وقد اشترك فى بناء هذا المسجد جميع المسلمين، حتى رسول الله بنفسه المباركة، وكان الناس ينقلون فى بناء المسجد النبوى لبنة لبنة، وعمار بن ياسر (رضوان الله عليه) ينقل لبنتين لبنتين فغشى عليه، فأتاه رسول الله صلى الله عليه و اله فجعل يمسح التراب عن وجهه، ويقول: ويحك يابن سمية، الناس ينقلون لبنة لبنة وأنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة فى الآخرة.

وعن حبيب بن ثابت قال: لما بنى المسجد جعل عمار (رضوان الله عليه) يحمل حجرين حجرين، فقال له رسول الله صلى الله عليه و اله: يا أبا اليقظان! إنى احب أن اعمل فى هذا المسجد، ثم مسح صلى الله عليه و اله ظهره، قال: قال صلى الله عليه و اله انك من أهل الجنة تقتلك الفئة الباغية، ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، وتلك دار الأشقياء والفجار.

۳: إيجاد الأخوة الإسلامية.

أوجد رسول الله صلى الله عليه و اله هذا النظام الأخوى فى المجتمع المدنى والمهاجر من مكة، بأمر من الله تعالى، وذلك لبناء أفضل مجتمع عرفه البشر ولإبعاد الغربة والوحشة عنهم سيما وانهم تركوا الأهل والوطن، وبإيجاد روح الأخوة الإسلامية نتج الإنس والألفة والتفاهم والتعاون فيما بينهم.

ذكر المؤرخون أنه: أوجد النبى صلى الله عليه و اله روح الأخوة الإسلامية مرتين، مرة بين المهاجرين، ومرة بين المهاجرين والأنصار.

هذا وفى كل مرة جعل علياً عليه السلام أخا لنفسه دون غيره().

يقول مؤلف: كتاب (محمد النبى يجب أن يعرف من جديد)():

الانقلاب الذى أحدثه محمد صلى الله عليه و اله فى ذلك الوقت فى الجزيرة العربية مع ملاحظة العادات والتقاليد العربية والنفوذ الكثير لرؤساء القبائل، يكون قد شكل وحدة اجتماعية متماسكة من كل قبيلة وهذا الانقلاب الذى جاء به محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يفوق الانقلاب الفرنسى حيث أن الانقلاب الفرنسى لم يتمكن من إيجاد المساواة بين الفرنسيين، كما أوجدها محمد صلى الله عليه و اله بين المسلمين، فقد أزاح عن الوجود التمايز العائلى والطبقى والمادى.

وبهذه الطريقة استطاع النبى ص أن يحل أكبر مشكلة اجتماعية واقتصادية فى مجتمعه.

أما فيما يتعلق ببعض المسلمين الفقراء جدا والذين يفتقرون لكل شىء فقد أسكنهم النبى صلى الله عليه و اله فى (صفة) المسجد وطلب من المسلمين أن يطعموهم، وقيل انه كان من هؤلاء: أبوذر الغفارى.. وأبو هريرة.. وقد ذكر بعضهم أن عددهم و صل إلى أربعمائة شخص.

تكوين الأمة

كانت القبيلة أو القبائل التى تقوم بحماية الفرد أو الأسرة تطلق عليه اسم الحليف، وكان فى مقابل ذلك يجب على الفرد أو الأسرة الولاء المطلق لهذه القبيلة فى كل شىء صحيح أو باطل.

فكانت بعض مبادئ الجاهلية القائمة على التفوق السلالى والعصبيات القومية والقبلية تتناقض مع المبدأ الإسلامى الذى ألغى جميع هذه الامتيازات وحاربها فيما حاربه من نُظُم وأفكار ومعتقدات لم تكن لخير الإنسانية، وقد جاءت الشرائع السماوية من أجل عزتها وكرامتها وسعادتها وحمايتها من جور الحاكمين وجشع المتسلطين.

وكان النبى صلى الله عليه و اله فى أكثر مواقفه يؤكد على إلغاء الفوارق والامتيازات التى تصنف الناس إلى فئات وطبقات وشريف ووضيع داعياً إلى وحدة إسلامية عروتها الوثقى الإيمان بالله،والعمل بما جاء به من عنده..

وكان آخر تلك المواقف التى كان يقفها من اجل تلك الوحدة لاجتثاث تلك النزعة الجاهلية من نفوس المسلمين: موقفه صلى الله عليه و اله فى حجة الوداع بين عشرات الألوف من مختلف أنحاء شبه الجزيرة، حيث قال فى خطبته: (أيها الناس! إن ربكم واحد وأباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى)().

أدخل رسول الله صلى الله عليه و اله العناصر الأخلاقية فى السياسة، فالسياسة فى الإسلام أنزه سياسة عرفها البشر، فالله سبحانه منشأ القدرة، وبعده القانون وعرف نبيه صلى الله عليه و اله به، فالأحكام التى يبلغها للناس عليه أن يلتزم بها قبلهم ويكون مساويا لهم.

فواقع الهجرة والمجموعة المهاجرة لا تعنى تغيير المكان البسيط من مكة إلى المدينة أو أى مكان آخر، بل إن المفهوم الدقيق للهجرة والمهاجرين هى قطع العلاقات والروابط القومية والقبلية، ونبذ نظام الشرك والانتماء إلى مجتمع التوحيد والإسلام المبنى على أساس التقوى والعدالة.

الآيات المتعلقة بالأمة

وقد وردت فى القرآن الكريم آيات تشتمل على هذه اللفظة (الأمة) نذكر بعضها، وهى تدل على أهمية موضوع (الأمة) فى الإسلام:

۱: قال تعالى?: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس().?

۲: وقال عزوجل?: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف()....?

۳: وقال سبحانه?: إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون().?

۴: وقال تعالى?: وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون().?

۵: وقال سبحانه?: من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله(). ?

۶: وقال عزوجل?: ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم().?

الأدوار فى المجتمع الإسلامى للمدينة

قال عز من قائل?: للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك

هم الصادقون، والـذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسـهم ولو كـان بهم خصاصـة ومن يوق شـح نفسه فأولئـك هم المفلحون والـذين جـاءوا من بعـدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ().?

وهذه الآية ذكرت ثلاث مجموعات هى: (المهاجرين) و(الأنصار) و(التابعين بإحسان) ولكل منهم دور فى تشـكيل المجتمع الإسلامى المعبر عنه ب(الأمة الإسلامية الواحدة).

الكادر السياسى والشورى الإدارية فى المدينة

هناك ثلاثة عناصر ضرورية وأساسية يتم بموجبها تشكيل الدولة.

۱: الجمعية (الملة).

۲: التراب والماء والفضاء.

۳: الشورى السياسة والقوة الإجرائية والقضائية.

وهذه العوامل الثلاثة هى التى شـكلت الدولة الإسلامية فى المدينة، وجعلتها وطنا لكل المسلمين من دون فرق فى اللغات أو القوميات أو مـا أشـبه، فـإن الوطن الإسـلامى لاـ حـدود ولاـ حواجز فيه، ومـا نراه الآـن فى الـدول الإسـلامية من سـد حـدودها بوجه المسـلمين المهاجرين إليها فهو من نظم الاستعمار، ولا يجوز شرعاً، ولنعم ما قال الشاعر فى هذا الصدد:

وكل ما ذكر اسم الله فى بلد

عددت أرجاءه من لب أوطانى

نقباء المدينة

ذكر المؤرخون أسـماء بعض نقباء المدينـة الذين كانوا يتولون إدارة قبائلهم، فإن الدولة تحتاج إلى من يدير جميع شؤونها، والأسـماء على الوجه التالى:

اسم النقيب

قبيلته

أسيد بن حضير عبد

أبو الهيثم مالك بن التيهان عبد الأشهل

سعد بن خثيمة عمرو بن عوف

رفاعة بن عبد المنذر عمرو بن عوف

سعد بن الربيع بلحارث

عبد الله بن رواحة بلحارث

سعد بن عبادة ساعدة

المنذر بن عمرو ساعدة

البرآء بن معرور سلمة

عبد الله بن عمرو بن حرام سلمة

عبادة بن الصامت القوافل

رافع بن مالك زريق

أسعد بن زرارة النجار

وكان ثلاثة منهم من قبيلة الأوس، وتسعة من قبيلة الخزرج، فجعل النبى صلى الله عليه و اله هذه المجموعة بصفة (كادر سياسى) يتولى كل منهم إدارة قبيلته وكفالته.

التقسيم الإدارى للمدينة

كما قسمت المدينة إلى نواحى وقصبات، فكانت تعيش كل قبيلة لوحدها بعيدة عن القبائل الأخرى، وفى كل ناحية أو قصبة يوجد رئيس (نقيب)، وبعض النواب للرئيس (عريف)، وكان لهم محل اجتماع يجتمعون فيه يسمى (السقيفة).. كما عين لكل النقباء رئيسا يسمى (نقيب النقباء).

وبعد أن دخل نبى الإسلام صلى الله عليه و اله المدينة وتمت سيطرته عليها بالكامل خصوصا بعد أن أمضى المعاهدة الدفاعية المشتركة بينه وبين اليهود للمحافظة على أمنها، غير مجلس المشورة المؤلف من اثنى عشر نقيبا، أو زاد على أعضائه بعد مشورة المسلمين ومشاركتهم الرأى فى إدارة الأمور.

والدليل على ذلك إن نبى الإسلام صلى الله عليه و اله فى ابتداء تشكيل دولة المدينة ولاستحكام السيطرة عليها، كان قد استفاد من رؤساء الأوس والخزرج بالإضافة إلى المهاجرين وعلى رأسهم على أمير المؤمنين عليه السلام كما استفاد صلى الله عليه و اله من تعاون المسلمين مع بعضهم، وبعد موت (أسعد بن زرارة) تولى شخصيا نقابة بنى النجار، وتعهد بكفالة أمورهم.

وكان اعتماد رسول الله صلى الله عليه و اله فى الجانبين السياسى والحربى على المهاجرين والأنصار وعلى رؤساء القبائل كرئيسى القبيلتين الأوس والخزرج أسيد بن حضير، وأسعد بن زرارة، فطلب منهما التعاون والمساعدة، وهذه المسألة مشهودة لمن راجع تاريخ رسول الله صلى الله عليه و اله فى المدينة المنورة فى حروبه وغزواته.

الشورى وعدم الاستبداد

وكان الأساس فى سياسة النبى صلى الله عليه و اله فى إدارة الأمور هو الشورى، وفى مواضع عديدة كان يأخذ برأى الأكثرية، ولا يخفى ان هذا النوع من الحكومة فى العصر الحاضر قد يسمى (بالحكم الديمقراطى) وان كان بينهما بعض الفرق، وهذا النوع من الحكومة القائمة على الاستشارة فى مختلف قضايا الدولة كان فى المدينة المنورة وقد تحقق بقيادة نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال تعالى مخاطبا نبيه?: وشاورهم فى الأمر().?

مع أن رسول الله صلى الله عليه و اله كان معصوما ومعينا من قبل الوحى ولا يحتاج إلى مشورة أى أحد، ولكن الله أمره بالمشورة فى إدارة البلاد والعباد كى يتأسى به.

المعاهدات فى الدولة الإسلامية

وكتب رسول الله صلى الله عليه و اله كتابا بين المهاجرين والأنصار ودعا فيه اليهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم، واشترط عليهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

۱: هذا كتاب من محمد النبى صلى الله عليه و اله بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.

۲: إنهم أمة واحدة من دون الناس.

۳: المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاملون بينهم، وهم يفدون عاينهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

۴: وبنو عوف على ربعتهم يتعاملون معاملتهم الأولى، وكل طائفة تفدى عاينها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

۵: وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاملون معاملتهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عاينها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

۶: وبنو الحارث على ربعتهم يتعاملون معاملتهم الأولى، وكل طائفة تفدى عاينها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

۷: وبنو جشم على ربعتهم يتعاملون معاملتهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عاينها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

۸: وبنو نجار على ربعتهم يتعاملون معاملتهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عاينها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

۹: وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاملون معاملتهم الأولى، وكل طائفة تفدى عاينها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

۱۰: وبنو النبّيت على ربعتهم يتعاملون معاملتهم الأولى، وكل طائفة تفدى عاينها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

۱۱: وبنو الأوس على ربعتهم يتعاملون معاملتهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدى عاينها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

۱۲: وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل.

۱۳: وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

۱۴: وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم أو إثم أو عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم.

۱۵: ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن.

۱۶: وأن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

۱۷: وأنه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولامتناصرين عليهم.

۱۸: وأن سلم المؤمنين واحدة، ولا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

۱۹: وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا.

۲۰: وأن المؤمنين بين بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله.

۲۱: وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه.

۲۲: وأنه لا يجير مشرك ولا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن.

۲۳: وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به إلا أن يرضى ولى المقتول، وأن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

۲۴: وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه، فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

۲۵: وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عزوجل وإلى محمد صلى الله عليه و اله.

۲۶: وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

۲۷: وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وإثم فانه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

۲۸: وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى عوف.

۲۹: وأن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف.

۳۰: وأن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف.

۳۱: وأن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف.

۳۲: وأن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف.

۳۳: وأن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف إلا من ظلم وإثم، فانه لايوتغ إلا نفسه، وأهل بيته.

۳۴: وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

۳۵: وأن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف وأن البر دون الإثم.

۳۶: وأن موالى ثعلبة كأنفسهم.

۳۷: وأن بطانة يهود كأنفسهم.

۳۸: وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه و اله.

۳۹: وأنه لا ينحجز على ثار جرح، وأنه من فتك فنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم، وأن الله على أبر هذا.

۴۰: وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

۴۱: وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم.

۴۲: وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

۴۳: وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

۴۴: وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

۴۵: وأنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

۴۶: وأنه ما كان بين أهل هـذه الصـحيفة من حدث أو اشـتجار يخاف فساده، فان مرده إلى الله عز وجل، وإلى محمد رسول الله صـلى الله عليه و اله وأن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبرّه.

۴۷: وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

۴۸: وأن بينهم النصر على من دهم يثرب.

۴۹: وإذا دعوا إلى صـلح يصـالحونه ويلبسونه فـانهم يصـالحونه ويلبسونه، وانهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين.

۵۰: وعلى كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم.

۵۱: وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحضر من أهل هذه الصحيفة، وقيل: مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة.

۵۲: وأن البر دون الإثم، لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما فى هذه الصحيفة وأبرّه.

۵۳: وأنه لا يحول هـذا الكتاب دون ظالم وآثم، وأنه من خرج آمن، ومن قعـد آمن بالمدينـة، إلا من ظلم أو إثم، وأن الله جار لمن بر واتقى، ومحمد رسول الله صلى الله عليه و اله.

يقال: إن رسول الله صـلى الله عليه و اله كتب هـذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية، وحين كان الإسـلام غير قوى، وكان لليهود إذ ذاك نصيب فى المغنم إذا قاتلوا مع المسلمين، كما شرط عليهم فى هذا الكتاب النفقة معهم فى الحروب.

وهذا العهد يشـتمل على شـروط كثيرة بين المسـلمين أنفسهم من المهاجرين والأنصار، وعلى معاهدة بين المسلمين ومشركى المدينة، وهم لقلة عددهم بل إشـرافهم على الفناء لم يذكر لهم شروطا كثيرة، ويتضمن أيضاً معاهدة بين المسلمين واليهود، ولا يخفى على من تـدبر الكتاب عظم هـذا العمل، وان هـذا من أكبر الأعمال المهمة التى فعلها رسول الله صـلى الله عليه و اله، بل أكبر من بعض الأعمال الأخرى وأعم نفعا وأكثر ثمرا منها، لأن به أمن غوائل اليهود ومكرهم فى الأمور التالية:

۱: فى تفريقهم بين المسلمين.

۲: واتحادهم مع قريش وغيرهم من أعداء الإسلام.

۳: وبه أمن المسلمون على أموالهم وذراريهم ودورهم وزروعهم وكل جانب يخافونه.

۴: وبه انفسح المجال لنشر الدين وقتال المشركين فى الحروب التى كانت تقام من قبل المشركين ضد المسلمين.

ولولا هذه المعاهدة الحكيمة من قبل رسول الله صلى الله عليه و اله لم تتمكن الملة الإسلامية وعلى رأسها النبى الأعظم صلى الله عليه و اله من نشر الدين الإسلامى بالشكل المطلوب، ولم تقدر على المقاومة فى الحروب المتتالية فى بدر وأحد ونظائرهما فى قبال المشركين، ولولا هذه المعاهدة لكان المشركون شديدى القتال..

ولو تدبرنا الكتاب وشروطه لخرجنا بالنتيجة التالية:

مجمل شروط المعاهدة بين المسلمين أنفسهم

۱: المسلمون أمة واحدة من دون الناس فلا علقة إسلامية بين مسلم وكافر ولو كان أبا وولدا، وإن كان الإسلام يأمر باحترامهم واكرامهم، ولا مجانبة بين مسلم ومسلم، فالمسلم لا يكون بالنسبة إلى المسلم أجنبيا.

۲: كل طائفة من المسلمين يتفادون بينهم كما كانوا يتفادون قبل الإسلام.

۳: المسلمون المتقون على من بغى دسيسة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المسلمين.

۴: لا يقتل مؤمن فى كافر، ولا ينصر كافر على مؤمن.

۵: ذمة الله واحدة فلا اعتداد بأشخاص المسلمين فيجير عليه أدناهم.

۶: لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله، فلا يكون السلم فى الحرب إلا برأى من مولاه.

۷: كل طائفة غازية غزت يعقب بعضها بعضا، فلا تجبر طائفة على الغزو مرتين متعاقبتين.

۸: ومن قتل مؤمنا من دون جريرة ففيه القود إلا أن يرضى ولى المتقول.

۹: إذا اختلف المسلمون فمردهم إلى الله ورسوله صلى الله عليه و اله.

۱۰: المسلمون لا يتركون بينهم مديونا قد أثقله الدين إلا أعانوه فى فداء أو عقل.

۱۱: المؤمنون بعضهم مولى بعض فلا ولاء للكافر على المؤمن.

۱۲: لا يجير أحد حرمة كافر إلا بمصلحة سائر الجيش.

مواد المعاهدة مع اليهود

۱: إن لليهود المعاهدين النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم، إذا دعا المسلمون اليهود إلى المصالحة فعليهم أن يصالحوا، وكذا إذا دعا اليهود المسلمين إليها.

۲: إن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين، على المسلمين نفقتهم، وعلى اليهود نفقتهم.

۳: المسلمون واليهود المتعاهدان أمة واحدة، للمسلمين دينهم ولليهود دينهم، إلا من ظلم وإثم.

۴: على المسلمين واليهود التعاون بينهم على من حارب أهل هذه الصحيفة.

۵: لا يؤخذ امرؤ بإثم حليفه.

۶: النصر للمظلوم فيما بينهم.

۷: لا تجار حرمة كافر إلا بمصلحة من المسلمين واليهود.

۸: الجار كالنفس لا يضار.

۹: إن بينهم النصر على من دهم يثرب.

۱۰: إن بينهم النصح والنصيحة.

مواد العهد بين جميع أهل الصحيفة

۱: لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.

۲: إن يثرب حرام على أهل هذه الصحيفة بحسب المعاهدة، كما أن مكة حرام بتحريم الله تعالى.

۳: لا تجار قريش ولا من نصرها.

مواد العهد مع المشركين

۱: لا يجبر مشركو المدينة مالا لقريش ولا نفسا.

سند المعاهدة

ذكره العلامة المجلسى رحمة الله عليه فى (بحار الأنوار)() عن طريق رواية على ابن إبراهيم ابن هاشم، نقلاً عن الصدوق رحمة الله عليه فى (كمال الدين).

ورواه ابن إسحاق كما ذكرته الكتب التاريخية، إلا أن ابن إسحاق لم يذكر أسماء رواة الحديث، وقد ذكر محدثو أهل السنة هذا المتن، أمثال: أحمد بن حنبل فى (مسنده)()وتلقاه بالقبول، واستنسخه ابن سيد الناس فى (عيون الأثر)() عن كتاب ابن خثيمة، ونقله عنه.

ونقله مؤرخو السنة أيضاً فى كتبهم التاريخية، أمثال:

أبو عبيد قاسم بن سلام فى كتاب (الأموال)().

وابن كثير (فى البداية والنهاية)().

وكذلك البلاذرى فى (أنساب الأشراف)().

وأورد العلامة المجلسى (قدس سره) مضمون الرواية والتى تحتوى على اتفاقية تاريخية بين أهل المدينة والرسول صلى الله عليه و اله، وقد وقع هذه الاتفاقية من جانب اليهود كل من: حى بن أخطب من بنى النضير، وكعب بن أسد من بنى قريظة، ومخيريق العالم اليهودى من بنى قينقاع، ومما جاء فى هذه الوثيقة:

۱: فى السطور الأولى من وثيقة المعاهدة لدولة المدينة نرى الإشارة إلى تكوين الأمة الإسلامية (إنهم أمة واحدة من دون الناس) ولم ينحصر عددهم بمسلمى صدر الإسلام، بل يشمل بشكل عام كل من اعتنق الإسلام وآمن به.

۲: ضمن النبى صلى الله عليه و اله لمراكز القبائل فى ذلك اليوم والتى عرفت رسمياً: حق اللجوء والدية المشتركة وبعض الحقوق المالية.

۳: تضمنت الوثيقة وحدة الأمة، وتشترك الأمة كلها فى الصلح والحرب، فلايحق لأحد أن يتصالح عند الحرب، ولا يحارب عند الصلح، بل كلهم فى أيام الحرب لهم مصالح مشتركة، (وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضه بعضاً)، فجميع المسلمين لهم مسؤولية تجاه بعضهم، وعليهم التعاضد أثناء الحرب وتقديم المساعدة فيما بينهم، وعلى كل فرد صغيراً كان أم كبيراً أن يؤدى وظيفته المرسومة له، (إن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس).

وتتجلى فى هذا المنشور روح الأخوة والمساواة الحاكمة فى المجتمع الإسلامى.

ولا ينحصر الدفاع والحماية عن الوطن بالمسلمين، بل يجب على اليهود أيضا الدفاع عن حرمة المدينة وأمنها، فهم شركاء للمسلمين فى ذلك ومساهمون معهم (وإن بينهم النصر على من دهم يثرب).

۴: الالتزامات المالية الناشئة عن وقوع الحروب تقسم بشكل مشترك بين الموقعين على الوثيقة: (إن اليهود، ينفقون مع المسلمين ما داموا محاربين).

۵: تنص معاهدة المدينة لأصحاب الصحيفة أنها حرم: (وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة).

وعلى هذا فالأمن الداخلى للمدينة مضمون، ويحكم على أى نوع من التنازع الداخلى.

۶: وفى الوثيقة بنود، منها: تشخيص العدالة الاجتماعية، وتنظيم الأمور القضائية والادارية.

ولا يخفى أن تنظيم العدالة الاجتماعية والقضائية من الأهداف المهمة للوثيقة، وتصرح الوثيقة: بأن السلطة القضائية هى بيد النبى صلى الله عليه و اله وإنه المرجع القضائى الوحيد الذى تحال إليه القضايا المتنازع عليها وبدوره يقوم بحلها، سواء كانت هذه الاختلافات قد نشأت بين المسلمين أو بين اليهود: (وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله).

وفى هذه المادة استحدثت قوة قضائية يرجع إليه عموم الناس.

۷: وفى هذه المعاهدة تجرى الأحكام على أمور الحرب والصلح والشؤون القضائية، ويستثنى من هذه الموارد الاستقلال فى الدين، ولليهود إجراء أحكام الشرعية وفق دينهم، ولهم الحرية العقيدية فى ذلك: (وإن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم).

۸: يؤكد المنشور على المسؤولية المشتركة بنى المسلمين المهاجرين والأنصار بصدد القتال والالتزامات المالية، دون استثناء أحد منهم، كما نصت عليه البنود (۲،۳، ۴، ۵، ۶، ۷، ۱۰،۸وخصوصاً البند ۱۱).

۹: تؤكد الوثيقة على ارتباط المسلمين مع بعضهم، خصوصاً الانتصار للمظلوم، وإحياء الحق، ولا يجوز الدفاع عن المجرم سواء كان أباه أو أقاربه، كما نص عليه (البند: ۱۳).

۱۰: ونصت المعاهدة على حق الجوار اللجوء بحق جميع القبائل العربية واليهودية وأنه حق محترم: (وأن الجار كالنفس غير مضار ولا إثم) كما ورد فى (البند ۲۵، ۴۰، ۴۶).

تحسن الوضع الاجتماعى للمجتمع الإسلامى

قد عملت الأديان السماوية دوماً على إرجاع الناس من طرق الضلال والشرك إلى سبيل التوحيد، فمن نتائج التوحيد: الحرية الكاملة والكرامة.

إن الإنسان المؤمن بوحدانية الله وقدرته وعلمه بكل شيء وأن كل الموجودات مصنوعات ومخلوقات له تعالى، هذا الإنسان سوف لن يتملق إلى أى شخص ولن تستطيع أعتى القوى واكبر الثروات أن تجعله يخضع ويتوسل ويتصاغر أمامها، وإنما يخضع ويخشع فقط فى رحاب الله الواحد ويسجد فى محراب عظمته ويضع جبينه على الأرض أمامه تعالى.

كما أن من نتائج التوحيد أيضاً: العدالة الواقعية العامة: ففى ظل التوحيد لا سبيل لكل أحد من المسلمين إلا أن يتبعوا القانون الإلهى القائم على أساس الحكمة والعدل، ومن البديهى أن إتباع القانون الإلهى يوجب اتساع نطاق العدالة الأصيلة ومحو أى ظلم أو تعد على الحقوق.

فى حين أن المشركين على العكس من ذلك لا يستطيعون أن يقيموا العدل الواقعى فيما بينهم، وذلك لأن كل مجموعة وقبيلة منهم اتخذت لها إلهاً متميزا عن آلهة الآخرين واعتمادا على هذا الإله فإنها تسمح لنفسها بالتعدى على حقوق الآخرين، وبهذا تزول العدالة

الواقعية ويحل محلها التفرقة والتحكم الظالم وأشباههما.

والنتيجة: إن التوحيد بمعناه والواقعى يربى الإنسان الحر، الصحيح الفكر، المتوجه، المطمئن الخاطر، ولاـ يدع يتخبط فى الدروب المعقدة للضلال والظلم والاختلاف، ومن هنا يتضح سر نداء رسول الله صلى الله عليه و اله: (قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا)().

فإن أنبياء الله عليهم السلام جميعاً جاءوا يدعون البشر إلى عبادة الله وترك عبادة الطاغوت (الأصنام والظلمة)، قال تعالى?: أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت().?

وقال سبحانه?: يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لايشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتانٍ يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم().?

إضافة إلى أن دعوة النبى صلى الله عليه و اله كانت أخذ البيعة على عبادة الله والعمل بالإسلام وترك الخرافات الجاهلية، وقد بينت الآية الكريمة() الموارد السيئة التى كانت من الأصول الاعتقادية والأخلاقية السائدة والتى ابتلى بها المجتمع يومذاك، ورسول الله صلى الله عليه و اله باعتباره مبعوث الله إلى الناس، دعاهم إلى ترك الشرك وعبادة الأوثان وإصلاح المجتمع، ومن المعلوم إن هذه الموضوعات كانت متعلقة بالجوانب الفكرية والمعنوية والأخلاقية فى المجتمع، كما كانت ترتبط أيضا بالمشكلات الاقتصادية ونظائرها من بعض الوجوه.

بيان فتح مكة

وفى فتح مكة المكرمة أعلن نبى الإسلام صلى الله عليه و اله بيانا للنهضة الإسلامية الذى نص على ترك جميع الروابط الاجتماعية والاقتصادية الباطلة التى لا يقر بها الإسلام.

كما أمر صلى الله عليه و اله بالعفو العام حتى عن أكبر المجرمين، وأمر بالحرية بكل أشكالها، والمساواة، والأخوة الإسلامية، فأرسى بذلك قواعد النظام التوحيدى الإسلامى فى أرض الوحى().

تحسن الوضع الاجتماعى فى صدر الإسلام

يقول علماء النفس: إن الشباب عادة يميلون للتجديد وكل ما هو عصرى، ويعيرون اهتماماً خاصاً للأفكار الجديدة والتقدم بالمجتمع، ويحملونها على مقتضيات الزمن.

على عكس الكبار الذين عادة لهم علاقة شديدة بالمحافظة على العمل والإبقاء على الآداب والتقاليد الماضية..

وهذا التفاوت فى الميل قد يكون ناشئا عن بعض اختلافات الشباب مع الكبار فى الأبعاد الجسمية والروحية ومحيط الأسرة والمجتمع.

وبعد نزول الوحى على قلب النبى الطاهر والمبارك صلى الله عليه و اله، كان كثير من أتباع الدين الجديد من الشباب المتفكرين والثوريين، وكانوا يتضايقون من الأوضاع السائدة فى مكة المكرمة وحضارتهم الخرافية، منتظرين قدوم مصلح ينقذهم من غياهب الجهل والظلمات، خصوصاً إن أكثر المسلمين الأوائل كانت أعمارهم أقل من الأربعين سنة وحتى أقل من الثلاثين سنة، حسب ما هو مذكور فى التاريخ

وكان الكثير من الذين دخلوا الدين الجديد بنظر قريش من مطرودى المجتمع وفاقدى الواقع الاجتماعى كبعض العبيد وما أشبه..

ولكن الإسلام ألغى جميع الفوارق الا التقوى.

وبعد نزول الوحى شهد المجتمع المكى مكافحة المستثمرين مع مخالفى الاستثمار لا كما يتصور من مكافحة الفقراء والمحرومين مع الأغنياء وأصحاب الثروات بل المكافحة فى المبادئ.

فأتباع رسول الله صلى الله عليه و اله الأوائل كافحوا أنواع الانحرافات من: فكرية، واعتقادية، واقتصادية، واجتماعية، بقيادة طالب

العدالـة النبى محمد صـلى الله عليه و اله، وحولوا قدراً من مجتمع مكة إلى التوحيد وضعضـعوا أركان الشـرك، هذا فى مكة المكرمة، اما فى المدينة المنورة، فكان الأمر كالتالى:

إحكام الدولة الإسلامية وسياستها الداخلية

فانه بعـد أن ساعـدت أرضـية العمل، تمكن رسول الله صـلى الله عليه و اله بأسـرع وقت، أن يجعل من المدينـة قاعـدة اجتماعية نظامية ومذهبية محكمة، وكان المقصود من ذلك استمرار نظام سياسى قوى قائم على أساس الإسلام فى شبه الجزيرة، ثم إلى العالم.
ومن هذا المنطلق كانت المدينة المنورة قوة معنوية وسياسية لجزيرة العرب سطع منها نفوذ الإسلام ليشع نوره إلى العالم الخارجي.

رجل السياسة والحرب

لم يكن الرسول الأـعظم صـلى الله عليه و اله نبياً ومصـلحاً اجتماعياً وداعياً الناس إلى الاعتقاد برسالته فحسب، بل كان فى نفس الوقت رجلًا سياسياً وعسكرياً أيضاً، وبلغ رسول الله صلى الله عليه و اله القمة فى التفكير السياسى والاجتماعى والإدارى..
ودعوة النبى صـلى الله عليه و اله كسائر دعوات التوحيد والمصـلحين الاجتماعيين نفذت إلى القلوب، بل كانت اقوى من جميعها، ولم يكن صلى الله عليه و اله قد استقل قدرته وجرد سيفه ليستفيد به، بل كان همه الوحيد تحرير عقل الإنسان وكسر الأصنام والأوثان التى يتقرب إليها ويعتقد بها كإله، كما وصفه القرآن الحكيم?: ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم().?
ولم يكن المسـلمون فى ابتـداء الدعوة الإسـلامية قد حاربوا وجردوا سـيوفهم حتى فى الدفاع عن الإسـلام، بل كانوا يتحملون مختلف أساليب التعـذيب والاعتـداءات عليهم، وليس لهم إلا الصبر على ذلك، فمنهم: من هاجر إلى الحبشـة، ومنهم: من كان يتحمل عـذاب قريش، ولما تجاوز المشـركون حـدودهم، أمر الله سـبحانه المسـلمين أن يجاهدوهم? أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا()، ?مع العلم أن حروب المسلمين كلها كانت دفاعية.
وكل الحروب الدفاعيـة سواء كانت مع قريش أو اليهود أو الروم كانت لأجل رد الاعتـداء حتى أن فى غزوة تبوك بعـد أن تيقن النبى صلى الله عليه و اله من رجوع الروم، أمر جنود المسلمين بالرجوع إلى المدينة على الرغم من تحمل الأذى والمصارف الكثيرة.
وخاطب رسول الله صـلى الله عليه و اله زعماء القبائل والملوك والأمراء وأصـحاب النفوذ، وأرسل مبعوثيه إليهم يدعوهم إلى الدخول فى الإسـلام وقبول دعوته، فلم يسـتجب أحـد منهم لندائه إلا ما كان من النجاشـى، وقد ثبت بالتجربة ان الذين امتنعوا من قبول الدعوة الإسـلامية هم المسـتبدين من أصحاب النفوذ والقدرة والسلطة، وليس أصحاب الفكر، فحرب القوة بالقوة هى غير حرب الفكر بالقوة، وهذان ليس بينهما ارتباط.
فالدولة التى قام مخالفوها ضدها بحمل السلاح أو ما أشبه كان عليها الدفاع، وهذا القانون هو حكم العقل و صرح به القرآن الشريف: ?وقاتلوهم حتى لا تكون فتنـة ويكون الـدين لله فإن انتهوا فلا عـدوان إلا على الظالمين() ?وهـذا القانون هو نفس دسـتور القرآن فى مكان آخر?: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين().?
وفى كلتا الحالتين، يكون حمل السلاح للدفاع طريقاً لا مفر منه إذا تعذرت المحاولات، وفشلت السبل، فى إنهاء الظلم والتعدى.
فالاسـلام دين سياسـى أيضاً ويدعو كافة الامم الى ندائه الربانى، بخلاف اليهودية أو الدين الإسرائيلى كما يظهر من اسمه فانه ينحصر فى التعصب القومى لبنى إسـرائيل لإقامة الدولة، وتغلب على بنى إسـرائيل التنفر الشديد من دخول أبناء الأمم الأخرى غير الإسرائيليين فى المجتمع اليهودى.
وكـذلك بالنسبة للمسـيحية فهى دين أخلاقى فقط كما هو ثابت عنـد المسـيحيين وأنها لا تتـدخل فى المسائل الاجتماعية والسياسـية

والمعاملات، فالمسيحية ظهرت على أرض فلسطين، وبرزت إلى الوجود فى وقت كان فيه الاستعمار الرومانى مقتدراً، ولم تكن للمسيحية من القوة لمقاومة الدولة الظالمة بالطرق العادية، ولذا قيل إن المسيح عليه السلام كان لا يتدخل فى شؤون الحكومة الدنيوية، بل كان يؤكد على أن ملكوت الله فى السماء، واللازم على المسيحية أن يطلبوها فقط، كما قالوا: (ما لله لله وما للقيصر لقيصر) هكذا يقول المسيحيون.

أما الإسلام فقد ظهر وبرز إلى الوجود فى أرض استاء منه وغضب عليه حتى الدول المجاورة واعتبروه تصرفاً فى حقهم، مع أن ظهور الإسلام وبعثة النبى ص كانت لإصلاح الحياة وإقامة الروابط الاقتصادية العادلة واستقرار الأمن والنظام، ولو لم يكن ذلك لما استطاع أن ينفذ إليهم ويحكم فيهم، خصوصاً مع وجود النظام الجاهلى للعرب، ومجاورة دولتين عظيمتين لشبه الجزيرة: كإيران والروم.

فلم تكن سلطة الإسلام فى كل الدول سلطة جائرة (طاغوتية)، ولم يكن مانع لانتشاره بل كان دينا يطابق الفطرة.. ومثله كالنور فى الظلام، فقد أضاء القلوب.

هكذا كانت سياسة الرسول صلى الله عليه و اله فى صدر الإسلام، وكذلك فى انتشاره فى العالم، فكان نفوذ الإسلام فى جنوب شرقى آسيا ودولة الهند بشكل طبيعى باعتراف جميع المؤرخين من مسلمين وغير مسلمين فلم ينفذ إلى تلك البقعة الواسعة بحد السيوف أو بسلاح آخر.

وقد كتب نهرو فى كتاب" نظرة فى تاريخ العالم "يقول:

كان للعرب المسلمين فى الهند ذهاب وإياب، فقد بنوا المساجد، وأحياناً يبلّغون لمذهبهم عن طريق الوعظ، وحتى فى بعض الأوقات يدخل غيرهم فى معتقدهم ومذهبهم، كما لا يخفى، ولم تحصل أى مخالفة لهذا الدين الجديد قطعاً، ولم يكن ثمة تصادم ونزاع بين دين الهند والإسلام فى ذلك الزمان، وهذه النقطة جديرة بالاهتمام والذكر، وبعدها حصل التنازع وعدم الارتياح بين المذهبين.

وقد ذكرنا فى كتاب (كيف انتشر الإسلام): إن الإسلام دخل غالب البلاد بالتبليغ لا بالسيف.

فكان نفوذ الإسلام فى شرق آسيا سلمياً، وكان عن طريق التبليغ من قبل تجار المسلمين ومن أشبه، حيث أوجدوا المساجد، والمراكز التعليمية، والمدارس وما أشبه.

وقد جاء فى تاريخ إندونيسيا:

أنه قدم تجار المسلمين إلى إندونيسيا فى القرن الثالث عشر الميلادى من كجرات وفارس، وعقدوا روابط تجارية بين الهند وفارس وإندونيسيا، ومن طريق الروابط التجارية بدأ مذهب الإسلام ينفذ وينتشر بين المجتمع الإندونيسى خصوصاً فى سواحل جاوة، مثل: دماك.

وفى المراحل التى بعدها توسع نفوذ المسلمين حتى رغب ملوك الهند وإندونيسيا وغيرها فى قبول دين الإسلام، وأول من اعتنق الإسلام سلطان دماك، فدعا إلى الإسلام فى شرق وغرب إندونيسيا وجزائر جاوة، ونفذ الإسلام فى شرق إندونيسيا حتى الساحل الشمالى لجاوة، بل شمل حدود كرى سيك، وتقدم الإسلام فى غرب منطقة تامركز كايربن وبنتن، وبعدها اجتاح سائر الجزائر الإندونيسية حتى أصبحت إندونيسيا اليوم كبرى الدول الإسلامية فى تعداد نفوسها ().

الإدارة العسكرية والتكتيك الحربى لنبى الإسلام صلى الله عليه و اله

كان النبى صلى الله عليه و اله فى إدارة الحرب يكره الاستبداد فى الرأى، وكان يقوم باستشارة أصحابه، فالاستشارة والمشورة إحدى علامات القائد المناسب والمدير اللائق الذى يتبادل وجهات النظر مع أصحابه أهل الفكر والخبرة فى شأن من شؤون مصالح الأمة مما يعود بالنفع عليها.

وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على الشجاعة الذاتية، فمثل هذا القائد اللائق يستطيع أن يجعل وفى كل زمان من الطاقات الفكرية

والجسمية والعاطفية حشوداً عسكرية..

مع ان النبى صلى الله عليه و اله كان معصوماً ومربوطاً بالسماء وغير محتاج إلى المشورة لكنه كان يستشير ليعلّم المسلمين طريق النجاح فى مختلف شؤونهم، ولكى يرسم أسلوب الحكومة الصحيحة الاسلامية.

ففى معركة الخندق عندما تحالفت قريش مع يهود بنى قريظة، أمر صلى الله عليه و اله بحفر خندق حول المدينة المنورة وذلك بإشارة من سلمان الفارسى (رضوان الله عليه) فانتصر المسلمون على الكفار والمشركين بعدما قتل الإمام على عليه السلام عمرو بن عبدود العامرى حيث قال صلى الله عليه و اله: (ضربة على يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين)().

ثم حاصروا اليهود الذين نقضوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه و اله وغدروا به وبالمسلمين، وبعد ثلاثة أيام من محاصرة اليهود، اجتمعوا فى بيت بإشارة من أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، وبعد ذلك وبحكم سعد بن معاذ ممثل الأنصار، وانتخاب النبى صلى الله عليه و اله حكماً بشأن بنى قريظة، قد تم العفو عن أكثرهم، وقيل: إنهم رضوا بحكم سعد بن معاذ فحكم بقتل بعضهم وكانوا قليلين جدا().

الرسول صلى الله عليه و اله وقوة الجند الإيمانية

كان النبى الأكرم صلى الله عليه و اله يعتمد اعتماداً كاملاً على القوة الإيمانية فى إدارته الحكيمة لجند الإسلام، وغالباً كانت نسبة القوة المعنوية للجند أكثر بكثير من القوة المادية والعسكرية، كما قال سبحانه?: إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين().?

والمسلمون كانوا يربحون المعركة مع قلة عددهم وما كان ذلك إلا لدافع الإيمان المتأصل فى القلوب، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة، بقوله تعالى?: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله().?

وفى معركة أحد، ولأجل وقف زحف العدو من الوراء، تطوع خمسون مسلماً بأمر رسول الله صلى الله عليه و اله لمراقبة الطريق، فقال لهم صلى الله عليه و اله: احموا ظهورنا، لأننا نخشى ان فاجئنا العدو من الخلف، ولا تتركوا مكانكم، حتى لو قتلونا.. لا نريد أن تدافعوا عنا، وكل ما نرجوه منكم هو ضرب خيول العدو بالسهام، لأن الخيل لو ضربت بالسهام لم تقم على أقدامها()، ولكن بعصيان بعض المسلمين هذا الأمر العسكرى، هاجمهم العدو من الخلف وقتلوا كثيراً من المسلمين كما قُتل حمزة سيد الشهداء عم النبى صلى الله عليه و اله وان تدارك رسول الله صلى الله عليه و اله الأمر حتى انتهت الحرب بانتصار المسلمين وهزيمة الكفار..

وفى بعض الأحيان كان صلى الله عليه و اله يصدر أمراً للحرب بشكل سرى، وكنموذج على ذلك إرسل النبى صلى الله عليه و اله عبد الله ابن جحش مع خطاب ليرصد القوافل التجارية لقريش، وأمره صلى الله عليه و اله بقراءة الخطاب بعد يومين من التحرك، وكان مكتوباً فى الرسالة:

(سر حتى تأتى بطن نخلة على اسم الله وبركته، ولا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك، وامض فيمن تبعك حتى تأتى بطن نخلة فترصد بها قريش وتعلم لنا من أخبارهم).

ولاـ يخفى أن النبى صلى الله عليه و اله فى هذه السرية قابل بالمثل فحيث ضرب قريش الحصار الاقتصادى حول المدينة أراد النبى صلى الله عليه و اله حرب الحصار الاقتصادى على المشركين لصدهم عن أمثال ذلك.

من الخطط العسكرية

يوجد من بين الأهداف العسكرية فى الحرب شيئان مهمان، لابد من الإشارة إليهما.

۱: امتناع العدو والناس بإحقاق حقهم وإثباته، وهذا المطلب قد أكد عليه القرآن الكريم والسنة الشريفة فى حقانية الحروب الإسلامية.

۲: إضعاف العدو عن طريق الحرب النفسية، وإيجاد الاختلاف بينه.

وقد أقدم النبی صلی الله علیه و اله علی إعمال هذا الطریق، بإضعاف العدو بواسطهٔ أحد المسلمین، فقد ورد فی التاریخ: أن نعیم بن مسعود الغطفانی جاء إلی النبی صلی الله علیه و اله وقال: یا رسول الله إنی قد أسلمت، ولم یکن أحد من قومی مطلعاً بذلک، وأنا مستعد للقیام بأی عمل تأمرنی به.

فقال له النبی صلی الله علیه و اله: أنت رجل واحد، فلو قدرت أن تأتی العدو، وتقع بینهم، وتفرق شملهم، فإن الحرب خدعهٔ.

فجاء نعیم إلی بنی قریظهٔ، وکان ندیماً لهم أیام الجاهلیهٔ، ویستأنس بهم، فقال لهم: یا بنی قریظهٔ! تعرفون جیدا إنی احبکم، وکیف إن الصداقهٔ تتحکم بیننا.

فقال بنو قریظهٔ: صحیح ما تقوله، نعرفک جیدا بصداقتک لنا وحسن نیتک.

فقال نعیم: إن قریش وغطفان الذین تحالفا مع بنی قریظهٔ فی غزوهٔ الأحزاب لم یکونا مثلکم، المدینهٔ مدینتکم، وجمیع أموالکم وأولادکم ونسائکم موجودون فی المدینهٔ وتحت سیطرهٔ محمد صلی الله علیه و اله، ولم تستطیعوا أن تنتقلوا إلی مکان غیره، وهذه قریش وغطفان جاءتا لحرب محمد صلی الله علیه و اله، وانتم تصاحبونهم فی هذه الحرب، ولکن أموالهم ونسائهم فی مکان آخر أی فی مکهٔ، فهدف هؤلاء غیر ما تصبون إلیه، فلو انتصروا فی هذه الحرب علی محمد صلی الله علیه و اله بلغوا ما یصبون إلیه وتتطلع إلیه آمالهم، وأما لو انهزموا وانـدحروا فیعودون إلی وطنهم، فعندها تبقون انتم ومحمد صلی الله علیه و اله، ولم تتمکنوا من قتاله وهو لم یترک قتالکم، فیلزم أن یکون تحت اختیارکم بعض الأشخاص من قریش والمتحالفین معکم بصفهٔ رهائن حتی لا یفروا فی قتال محمد صلی الله علیه و اله حتی یلحقوا الهزیمهٔ به.

فأجابه بنو قریظهٔ: نِعم ما أشرت به علینا، وهو الأصلح لنا، فوقع اقتراح نعیم فی بنی قریظهٔ موقع الرضا والتأثیر.

ثم جاء نعیم إلی قریش وقال لأبی سفیان ورؤساء قریش: أنتم تعلمون جیدا بأننی أحبکم وقد افترقت عن محمد صلی الله علیه و اله، أنا علی علم واطلاع بخبر وأری أن أعرضه علیکم لما یقتضیه واجب الصداقهٔ بیننا، وأرید منکم أن تحتفظوا بهذا السر وألا تکشفونه لأحد.

فقالت قریش: سنفعل.

فقال نعیم: ألم تعلموا أن الیهود قد أصابهم الندم فی تصمیمهم لحرب محمد صلی الله علیه و اله فبعثوا إلیه أحدا یبدون له ندمهم ولیطلعه بذلک، وأوعدوه بأن یأخذوا بعضا من زعماء قریش ویسلمونهم لمحمد صلی الله علیه و اله لیقتلهم، ثم یتحالفون معه ضد قریش، وقد وافق محمد صلی الله علیه و اله علی هذا الاقتراح، فلو جاءکم الیهود وطلبوا رهائن فلا تسلمونهم ولا شخصا واحدا.

ثم جاء نعیم إلی غطفان وقال لهم: یا بنی غطفان أنتم أصلی وعشیرتی وقومی وأقربائی وأحب الناس إلیّ، وأنا مطمئن من عدم اتهامی وتقدرون صداقتی.

فقال له بنو غطفان: صحیح ما تقوله وأنت رجل صادق.

فقال نعیم: اکتموا هذا الأمر.

فقال بنو غطفان: ماذا نفعل؟ ما الذی عندک؟

فقال نعیم الکلام الذی قاله لقریش بأن یحذروا من تسلیم الرهائن للیهود، وأکده علی بنی غطفان وحذرهم من التحویل.

وفی لیلهٔ السبت الخامس من شوال أرسل أبو سفیان ورؤساء غطفان عکرمهٔ بن أبی جهل مع عدهٔ من أصحابهم إلی الیهود وقالوا لهم: إلی متی نصبر؟ وجمیع الحیوانات هلکت، وغداً یصادف السبت فتهیؤوا حتی نجابه محمداً صلی الله علیه و اله ونصفی حسابنا معه، ونحل مشکلاتکم ومشکلاتنا.

فأرسلت بنو قریظهٔ هیئهً إلی قریش وقالت لها: إن غداً یصادف السبت وهو یوم عطلهٔ الیهود، ونحن فی یوم السبت لا نعمل أی عمل کان، ولنا شرط معکم وهو أننا لن نحارب محمداً صلی الله علیه و اله حتی تضعوا عدهٔ من رجالکم تحت تصرفنا بصفهٔ رهائن، فنحن

نخشى أنه لو أضرت بكم الحرب ان ترجعوا إلى دياركم وتتركونا لوحدنا مع محمد صلى الله عليه و اله ونحن لا نتمكن من مقاومته.

فلما وصل خطاب بنى قريظة إلى قريش وغطفان، قالوا: والله، لقد صدق نعيم بن مسعود بما قاله لنا..

ثم بعد ذلك أرسلوا خطاباً إلى بنى قريظة جاء فيه: نحن غير مستعدين بأن ندفع لكم رجلًا واحداً كرهينة، وإذا صح ما تقولونه فاستعدوا غداً للحرب.

فلما وصل خطاب قريش إلى بنى قريظة قالوا: إن كلام نعيم بن مسعود كان صحيحاً، وتريد قريش انتهاز الفرصة، وتتركنا لوحدنا، وتفر من الحرب وتعود إلى ديارها، وتتركنا مع محمد صلى الله عليه و اله لوحدنا ونحن لا نقدر على مقاومة محمد صلى الله عليه و اله.

وبهذه الخدعة الحربية تفككت جهة أعداء المسلمين ووقع الخلاف بينهم، فكان سبباً فى انتصار المسلمين وعاملًا لعدم إراقة كثير من الدماء.

ومن جهة أخرى سلط الله الرياح والمطر فى ليلة قارصة على قريش وهذا كان من الإمداد الغيبى حتى تقطعت حبال الخيم، وسقطت القدور من على النار، حتى صممت قريش على الفرار والعودة إلى مكة بأسرع وقت.

وبهذه الطريقة استطاع رسول الله صلى الله عليه و اله أن يفرق قوة العدو، ليعود إلى المدينة بأقل الخسائر فى الأرواح.

والأهم من هذا كله أن رسول الله صلى الله عليه و اله كان قائداً محنكا، وكان يشرف إشرافاً مباشراً على كل الخطط الحربية وقادة الحرس والأشخاص، بالاضافة الى استشارته فى الأمور، ففى معركة (مؤتة) وعلى إثر قتل السفير الإسلامى الحارث الغسانى القائد العام للشامات، أراد النبى صلى الله عليه و اله أن تتقوى الدعوة الإسلامية فى أرض الشام، فقام ابتداء بتعيين جعفر بن أبى طالب عليه السلام قائداً للحرس وفى حالة استشهاده يتولى الأمر زيد بن حارثة، وعند استشهاده يتولى القيادة عبد الله بن رواحة، وبعده أىّ أحد كان قد دخل الإسلام ورضى به الجيش، وقد أوصى جنود الإسلام بهذه الوصية:

(بسم الله.. جاهدوا عدو الله وعدوكم الموجودين فى أرض الشام، راعوا الآداب مع المسيحية الرهبان الذين يعيشون بمنأى عن الناس، ولا تتدخلوا فى أمورهم، لا تقتلوا النساء والأطفال والشيوخ، لا تقطعوا النخل والأشجار، ولا تدخلوا البيوت)().

ثم تحرك الجنود وشرعوا فى السفر إلى الشام للمقاومة والعمل بما جاء فى الوصية وهكذا عملوا وأدخلوا الرعب فى قلوب الروم.

تطهير المدينة من قوى التحالف اليهودى

لقد علم رسول الله صلى الله عليه و اله أن أهل مكة بعد غزوة بدر لا تصبر على قتلاها، بل لابد من الانتقام ثأراً للدماء، فلهذا السبب لابد من مواجهة الخطر المترقب بتقوية البنية الدفاعية والسياسية.

ومن جانب آخر: اليهود فى العداوة والتزوير والختل والمراوغة لم يشهد التاريخ مثله، فقد حشدت عناصرها فى المدينة وتوابعها.

كما أن الخطة الخماسية لقريش لا تخفى عن الأنظار لابد من الإيفاء والقيام بالهجوم، وضرب الإسلام بخنجر فى الظهر، فلابد من إيجاد حل مناسب لهذه المشكلة.

هذا وقد نقض يهود بنى قينقاع عهودهم، والذى جرأهم على ذلك هو سكوت النبى صلى الله عليه و اله على مثل هذا الوضع، فظنوا أن هذا اعتراف رسمى بالهزيمة والفشل، فأصدر النبى صلى الله عليه و اله أمراً بمحاصرتهم، فبقوا خمسة عشر يوماً محبوسين فى بيوتهم، مما أدى إلى توسط المنافق المعروف عبد الله بن أبىّ فأمر النبى صلى الله عليه و اله بالعفو عنهم على أن يتركوا المدينة جميعهم، وكان هذا أخف من الانتقام والذى كان متعارفاً إلى ذلك الحين.

فقتل إنسانين إهانة صريحة بالمسلمين لم تغسلها إلا الدماء فى نظر العرب المسلمين الذين اقتضت فطرتهم الصحراوية أن يكون الناموس شرفاً ومكانة لا تدانى، فالأعراض مصونة وهى أعز عندهم من النفس، وربما تحصل المشاجرات والحروب ولسنوات طويلة

بين قبيلتين لهذا السبب، وهذا الموضوع لا يخفى على كل من طالع تاريخ العرب، ولكن فى هذا المجال قد صرف النظر.

والملاحظة الأخرى التى تدخل فى صلب هذا الموضوع هو أن اليهود أهانوا إهانة قبيحة امرأة مسلمة، وكان لها الأثر السيئ فى نفوس العرب المسلمين().

مؤامرة يهود بنى النضير

ثم إن اليهود بعد حرب أحد والفاجعتين المأساويتين: سرية رجيع()، وبئر معونة() التى راح ضحيتها الكثير من قرّاء القرآن أخذوا يستهزئون بالمسلمين ويقولون: النبى الحق المبعوث المرسل من الله، لا ينهزم أبداً..

وكان قد قتل رجلين من قبيلة (بنى عامر) وكانا متحالفين مع المسلمين، وقد طلبوا ديتهم من النبى صلى الله عليه و اله وكان يهود بنى النضير متحالفين مع (بنى عامر) كالمسلمين، فطلب النبى صلى الله عليه و اله من يهود بنى النضير تسليم دية الرجلين من حلفائهم بالاشتراك..

وفى بعض التواريخ أنه صلى الله عليه و اله استعرضهم ذلك وكان الاستعراض جاريا بينهم..

ولكنهم خلا بعضهم ببعض وخططوا لقتل رسول الله صلى الله عليه و اله..د

فجاء جبرائيل وأخبر رسول الله صلى الله عليه و اله بمؤامرة اليهود()، وهنا ظهرت النية الأصلية لهؤلاء اليهود..

فقد ذهب النبى صلى الله عليه و اله بمعية عشرة أشخاص من أصحابه إلى قلعة بنى النضير للمطالبة بالدية، وكان صلى الله عليه و اله إلى جنب جدار من بيوتهم فأرادوا أن يلقوا عليه صخرة كبيرة ليقتلوه..

فلما علم صلى الله عليه و اله سوء نياتهم بالتعرض على حياته وإرادتهم اغتياله رجع إلى المدينة.

وهذه المؤامرة التى كانوا ينوونها وسائر المؤامرات الأخرى هى التى دفعت النبى صلى الله عليه و اله أن يبعث إليهم محمد بن مسلمة ليقول لهم: اخرجوا من بلادنا ولا تساكنونا لأنا لانأمن خيانتكم لنا.

هذا وقد كان بإمكان رسول الله صلى الله عليه و اله أن يقتلهم ولكنه لم يفعل ذلك.

إفشال خطة يهود بنى قريظة

فى معركة الأحزاب الخندق تعاهد بنو وائل، وقريش، وبنو غطفان، وحلفاؤهم، وشكلوا جيشاً قوامه عشرة آلاف رجل ليدخلوا به إلى المدينة المنورة ويقضوا على الإسلام والمسلمين.

وكان هذا من تخطيط زعماء اليهود، حى بن أخطب، وابن أبى الحقيق، حتى يواجه الإسلام عدواً مشتركاً من عبدة الأوثان واليهود، يعمل لاستئصال جذوره.

وأثناء محاصرة المدينة وقف يهود بنى قريظة وكانوا حلفاء المسلمين على خلاف ما تعاهدوه وتعاقدوه موقفاً محايدا (عدم الانحياز) إلا أن حى بن أخطب (زعيم بنى النظير) استطاع أن يؤثر فى كعب بن أسد القريظى صاحب عهد بنى قريظة تأثيراً مباشراً ويجره إلى صفوفهم للعمل ضد النبى صلى الله عليه و اله وذلك بأن يهجموا على رسول الله صلى الله عليه و اله والمسلمين من الخلف فى معركة الخندق.

فلما علم النبى صلى الله عليه و اله من خيانة بنى قريظة، واطلع المسلمون عليها، بعث صلى الله عليه و اله سعد بن معاذ إلى يهود بنى قريظة لإقناعهم بأن يلتزموا الوفاء بالعهد والحفاظ على أمن الوطن، إلا أنهم أبوا هذا الطلب وأصروا على غيهم واستكبروا استكبارا، فردوا على النبى صلى الله عليه و اله بلهجة قاسية وتعرضوا لشخصه وللإسلام بالسب والشتم وبأقبح الصفات التى لا تليق إلا بهم، فنقضوا العهد وخالفوا الوعد فى أحرج ساعة على المسلمين.

وبعد أن انتهت غزوة الأحزاب (الخندق) بانتصار نبى الإسلام صلى الله عليه و اله، وبعدما استطاع صلى الله عليه و اله أن يتخذ تدبيراً حكيماً ينفذه (نعيم بن مسعود) وكان من أبدع أنواع العمل السرى() حيث غيّر المعادلة لصالحه صلى الله عليه و اله كما أدى إلى تغيير مجرى الحرب فرجحت قريش الفرار منها، لتعود إلى مكة حاملة وراءها الخيبة والذل والانتكاسة الروحية ولم يكن من الصحيح ان النبى صلى الله عليه و اله يتغافل ويصفح عن عظيم خيانة اليهود فى هذه الساعة الحرجة، فاتخذ قرارا قطعيا باستئصال جذور العدو بتقوية الدولة الإسلامية الفتية.

فقد أصدر صلى الله عليه و اله أمره إلى المسلمين بمحاصرة قلاع اليهود على وجه السرعة، وكان على عليه السلام أول مجاهد إسلامى يحاصر قلعة اليهود، واستمرت هذه المحاصرة خمسة وعشرين يوماً، مما اضطر يهود بنى قريظة أن يبعثوا (أبا لبابة) إلى النبى صلى الله عليه و اله ليحددوا موقعهم منه، وتصور بنو قريظة أن النتيجة ستؤدى بهم إلى التبعيد إلى ديار الشام كما حصل ذلك لبنى النضير من قبل.

فقال لهم النبى صلى الله عليه و اله: هل ترضون أن تجعلوا حكماً بينى وبينكم؟

فرضى اليهود بحكومة سعد بن معاذ، وقد حكم سعد بن معاذ بغير ما كان ينتظره اليهود، مما جاء فى حكمه: يقتل المحاربون من اليهود.

فرضى النبى صلى الله عليه و اله بهذا الحكم، فأمر بقتل المحاربين منهم خاصة وعفى عن الباقين.

إن مسؤولية هذه الدماء وإن لم تكن كثيرة بل كانت قليلة جدا تقع على عاتق حى بن أخطب (رئيس قبيلة النضير) فهو الذى حرك قريش وحرضهم على القتال، كما دعا بنى قريظة أن ينقضوا عهدهم ويتخلفوا عن تحالفهم ومواثيقهم.

ولا يخفى أن الرجال الذين قتلوا فى تصورى الذى استفدته من التواريخ أمثال (أسد الغابة) وغيره أنهم لم يكونوا فوق العشرين، أما المبالغة فى عددهم فكأنها من مبالغات اليهود وذكرها بعض المسلمين بدون تحقيق، وإلا فقد ذكر التاريخ أنهم حبسوا فى دار، وهل دور المدينة فى ذلك اليوم وهى قرية عادية تسع لأكثر من عشرين.

بالإضافة إلى أنه أين قبورهم ومن قتلهم وهل مثل ذلك العمل يشبه أعمال الرسول صلى الله عليه و اله مع أشد أعدائه حينما كان يقول: (اذهبوا فأنتم الطلقاء)()، إلى غيرها من القرائن؟...

ويحتمل أن سعد بن معاذ حكم بهم بحكم التوراة وطبق عليهم قوانينها الجزائية التى تنص صراحة:

عندما يريد العدو أن يحاربك فى أرضك، فادعوه إلى الصلح أولاً ولو أراد قتالك فحاصر مواقعه، ولو تسلطت عليهم فاقتل المحاربين منهم، وأما النساء والأطفال والحيوانات وكل ما هو موجود فى المدينة فخذها غنائم لك.

ما قاله المستشرقون حول اليهود

يقول أحد المستشرقين() فى خاتمة بحثه بصدد روابط النبى صلى الله عليه و اله مع اليهود:

"ليس من اللائق لليهود أن يقابلوا صداقة محمد صلى الله عليه و اله ووفائه لهم، بهذا الشكل من الجفاء، بعد أن أقام معهم روابط حسنة، ومن المناسب جداً أن نشير فى هذا الصدد إلى أنه: لو أن اليهود بدل عداوتهم وخصومتهم لمحمد صلى الله عليه و اله كانوا قد أقاموا معه روابط حسنة، واتصلوا به، لكان فيه صلاحهم وحصل لهم التوفيق، وكان هذا ممكناً لهم فى هذا الموقع المناسب، ويستطيعون بالتالى جنى ثماره من خلال:

۱: المحافظة على استقلالهم الدينى.

۲: أن يكونوا جزءاً من الإمبراطورية الإسلامية.

فلو فعلوا ذلك لكان العالم غير ما عليه اليوم، ولكن الذى يؤسف له أن اليهود منذ الأيام الأولى لإقامة محمد صلى الله عليه و اله فى

المدينة، زرعوا بذور الفاجعة المؤلمة، وضيعوا الفرص الجميلة فى استقرارهم واستقلاليتهم.

والجدير بالذكر إن الإسلام بتعاليمه الدينية كان متساهلاً مع اليهود أكثر منه مع المسيحيين، مع أن الدين اليهودى والدين المسيحى يشتركان فى التشريع والقانون، وكلاهما من الأديان الموحدة، إلا أن الغالب على دين المسيحية هو التوحيد الثلاثى، وهذا غير موجود عند اليهودية.

ومع وجود هذا التأكيد فى رسالة رسول الله صلى الله عليه و اله، فإن عقيدة الغلو عند اليهود المبنية على أساس التفوق السلالى والعنصرى، أبت إلا أن تعارض ذلك.

فيهود المدينة حسب معتقدهم رفضوا نبوة محمد صلى الله عليه و اله، ولو كان عندهم بعض المفكرين والمصلحين لاستطاعوا أن يغمضوا عيونهم عن هذه المسألة، وانتهزوا الفرصة الغالية بشكل يحفظ لهم كيانهم واستقلالهم، فليس من الضرورة أن يسخر اليهود من دين محمد صلى الله عليه و اله، ومما يدعو للأسف الشديد أنهم سلكوا هذا النهج، وطبيعى أن هذه الانتقادات الشديدة من جانب اليهود لمحمد صلى الله عليه و اله ودينه خطر كبير بالنسبة لتجربته السياسية والاجتماعية، ومع هذا العمل السلبى وقف محمد صلى الله عليه و اله قبالهم."

الرسول صلى الله عليه و اله يقوم بمهمة التبليغ

لم تكن وظيفة التبليغ للإسلام وإبلاغ الرسالة مسؤولية صغيرة على مدى التاريخ، وأول من أدى هذه الوظيفة المهمة هو النبى صلى الله عليه و اله وأصحابه المخلصون، وقد أشار إلى هذه الوظيفة القرآن الكريم فى آياته:

۱: قال تعالى?: أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن().?

۲: وقال سبحانه?: وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد? ().

نعم، إن تربية الناس وإصلاحهم جزء من الأهداف المهمة لأنبياء الله عليهم السلام، ولهذا بعثوا ولأجل تحقيقه عملوا، كما ورد فى الحديث: (إن الله قد خص الأنبياء بمكارم الأخلاق)().

إضافة إلى أن التعليم والتأديب هو جزء من حقوق الناس، وعلى الدولة الإسلامية أن تبذل قصارى جهودها فى هذا الجانب، وفى هذا يقول الإمام على عليه السلام. (أما حقكم علىّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا)().

محمد صلى الله عليه و اله المعلم الأول

من بين السمات والصفات للنبى صلى الله عليه و اله التى وصفه بها القرآن الكريم إضافة إلى (الرسول) و(الشاهد) و(المبشر): صفة المربى? يزكى ?والمعلم? يعلّم..?

وأكثر القرآن على النبى صلى الله عليه و اله فى التأكيد على تربية المجتمع والنهوض به، كما تشير إليه الآية الكريمة?: ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة().?

القرآن والسنة مصدرا التعليم

وبعد تشكيل دولة المدينة الإسلامية واستقرار رسول الله صلى الله عليه و اله سنحت له الفرصة فى تبليغ رسالته العالمية، فجاهد صلى الله عليه و اله ثقافة الجاهلية المشركة والملوثة والمعدية، وجذب الناس لدين الحق وعبادة الله الواحد، واتخذ من دار أبى أيوب الأنصارى (رضوان الله عليه) أول منزل له صلى الله عليه و اله مركزاً للتبليغ، وانتخب المبلغين المعلمين.

وأول مجموعة لمبشرى الرحمة كان قد أوفدها صلى الله عليه و اله إلى أطراف جزيرة العرب، وكان من وصيته صلى الله عليه و اله لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن:

(يا معاذ، علّمهم كتاب الله، وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة، وأنزل الناس منازلهم، خيرهم وشرهم، وأنفذ فيهم أمر الله، ولا تحاش فى أمره ولا ماله أحداً، فإنها ليست بولايتك ولا مالك، وأدِّ إليهم الأمانة فى كل قليل وكثير، وعليك بالرفق والعفو فى غير ترك للحق يقول الجاهل قد تركت من حق الله، واعتذر إلى أهل علمك من كل أمر خشيت أن يقع إليك منه عيب حتى يعذروك، وأمت أمر الجاهلية إلا ما سنه الإسلام، وأظهر أمر الإسلام كله صغيره وكبيره، وليكن أكثر همك الصلاة، فإنها رأس الإسلام بعد الإقرار بالدين، وذكّر الناس بالله واليوم الآخر، واتبع الموعظة، فإنه أقوى لهم على العمل بما يحب الله، ثم بث فيهم المعلمين، واعبد الله الذى إليه ترجع ولا تخف فى الله لومة لائم)().

مكانة العلم فى الإسلام

يمكننا أن نعبر عن الدين الإسلامى بأنه هو الدين الوحيد من بين الأديان الذى يؤكد أكبر التأكيد على التفقه فى المذهب وفهمه، ويصر على الفكر، والتعليم، ويرفض تقليد الآباء والأجداد فى المعتقدات من دون دليل، ويجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، كما ورد فى الحديث الشريف().

يقول الإمام على عليه السلام: (لا خير فى دين لا تفقه فيه)().

وجميل جداً أن يشبه الإمام عليه السلام المعقول بالمحسوس، فمحل العلم فى المخ والقوى الدماغية كما شبهه عليه السلام فى الحديث الآتى ليوجه الفكر الإنسانى، وشريان الحياة الإنسانية.

فيقول عليه السلام: (إن العلم ذو فضائل كثيرة، فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة أسباب الأمور)().

وورد فى الأحاديث: (مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء)().

وذكر المؤرخون: عندما أخذ أمير المؤمنين على عليه السلام بزمام الخلافة، ولى الأشعث بن قيس الكندى على آذربايجان، فلما دخل الأشعث (أردبيل) ورأى أن أكثر أهالى آذربايجان قد اعتنقوا الإسلام، أخذ يعلم القرآن ويقرأه، فبنى مسجداً فى أردبيل وعمر البلد..().

وروى أبو البخترى قال: سألنا على بن أبى طالب عليه السلام عن علم أصحاب النبى صلى الله عليه و اله؟

فقال عليه السلام: من تريدون؟

قلنا: عبد الله بن مسعود.

قال عليه السلام: هذا عالم بالقرآن والسنة، وقد بلغ من العلم درجة، وهذا المقدار من العلم يكون كافياً.

فسألناه عن أبى موسى الأشعرى ماذا يقول فيه؟

فقال عليه السلام: صبغ فى صبغة ثم خرج منه.

ثم سألناه عن حذيفة بنى اليمان؟

فقال عليه السلام: أعلم أصحاب النبى صلى الله عليه و اله بأحوال المنافقين.

فسألناه عن أبى ذر الغفارى (رضوان الله تعالى عليه)؟

فقال عليه السلام: وعلى علماً.

ثم سألناه عن سلمان الفارسى (رضوان الله تعالى عليه)؟

فقال عليه السلام: ما أقول في رجل خلق من طينتنا، وروحه مقرونة بروحنا، خصه الله من العلوم بأولها وآخرها، وظاهرها وباطنها، وسرها وعلانيتها، وذلك منا أهل البيت().

فقلنا له: حدثنا عن نفسك يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام: كنت إذا سألت محمداً صلى الله عليه و اله أجابنى، وإذا سكت ابتدرنى.

يعنى أنه عليه السلام قضى عمره الشريف بخدمة النبى صلى الله عليه و اله يستفيد من علمه،

وقد قال عليه السلام: (إن رسول الله صلى الله عليه و اله علمنى ألف باب من العلم، يفتح كل باب ألف باب)().

تأسيس المركز الثقافى ودار المعلمين

قام النبى صلى الله عليه و اله بالتبليغ للإسلام وتعليم القرآن فى المدينة المنورة، واتخذ من منزل مخرمة بنى نوفل" دار القراء "ومركزاً لتدريب المعلمين، ومن هذا المركز كان يتم إيفاد معلمى القرآن إلى خارج المدينة والمدن الأخرى.

ذكر المؤرخون: أن عبد الله بن أم مكتوم بصحبة مصعب بن عمير وردا إلى المدينة بعد معركة بدر، واتخذا من" دار القراء "سكناً لهما.

وذكر صاحب كتاب (نظام الحكومة النبوية)() التراتيب الإدارية وأسماء

المبلغين والمعلمين الذين أرسلهم النبى صلى الله عليه و اله إلى خارج المدينة لتعليم القرآن، وكتب يقول:

كان النبى صلى الله عليه و اله يحث المسلمين ويشوقهم على تعليم القرآن والفقه من الجيران، وأمر عبادة بنى الصامت أن يعلّم القرآن لأهل الصفة فى مسجد النبى صلى الله عليه و اله وقد ذكر بعض المؤرخين إن أهل الصفة كانوا أربعمائة شخص.

إيفاد المعلمين

كما ذكر فى التاريخ أسماء بعض المعلمين والقراء الذين كان يبعثهم النبى صلى الله عليه و اله إلى مختلف المناطق، منهم:

۱: مصعب بن عمير:

بعث النبى صلى الله عليه و اله مصعب بن عمير، وذلك بعد معاهدة العقبة الأولى، بمعية النقباء الاثنى عشر إلى المدينة المنورة لتعليم أهل يثرب القرآن والفقه، فورد منزل أسعد ابن زرارة واتخذه مركزاً للتعليم، وكان يأتى العشرات من أهل المدينة إلى منزل أسعد ليأخذوا من مصعب القرآن والفقه وأحكام الإسلام، وقد أسلم الكثير بتأثير مصعب، ومن ضمنهم زعمائهم، أمثال سعد بن معاذ، وأسعد بن خضير من رؤساء الأوس.

۲: معاذ بن جبل:

بعد فتح مكة المكرمة عيّن النبى صلى الله عليه و اله عتاب بن أسيد ممثلًا له، وأمره بأن يؤم الناس بالصلاة، كما أمر معاذ بن جبل أيضاً أن يقوم بتعليم الناس القرآن والفقه.

وكان معاذ قاضياً للنبى صلى الله عليه و اله فى اليمن، فاشتغل بالقضاء وتعليم الأحكام والقرآن، وقد مرت وصيته صلى الله عليه و اله لمعاذ().

۳: عمرو بن حزم الخزرجى:

نقل بعض المؤرخين(): إن النبى صلى الله عليه و اله اتخذ عمرو بن حزم الخزرجى ممثلاً له فى نجران حتى يعلم الناس القرآن والفرائض، ويجمع خراجهم وصدقاتهم.

۴: رافع بن مالك الأنصارى:

كان رافع فى الجاهلية من الكاملين، وكان من جملة النقباء الاثنى عشر الذين التقوا بالنبى صلى الله عليه و اله وهو أول من جاء بسورة يوسف عليه السلام إلى المدينة المنورة وكان يقرؤها على الناس.

النشاطات التعليمية فى زمن النبى صلى الله عليه و اله

أمر النبى صلى الله عليه و اله زيد بن ثابت أن يتعلم اللغتين العبرية والسريانية ليكون واسطة بينه صلى الله عليه و اله وبين اليهود، يقول زيد: استطعت أن أتعلم اللغة العبرية بمدة سبعة عشر يوماً وصرت أكتب فيها.

كما عين النبى صلى الله عليه و اله عدة من المسلمين حتى يعلّموا صبيان الأنصار الكتابة، وكان منهم: عبد الله بن سعيد، وعبادة بن الصامت، وكانا معلمين ماهرين وكاتبين باهرين فى المدينة وأخذا يعلّمان أهل المدينة القراءة والكتابة، حتى تعلّم العديد من الناس القراءة.

ونقل صاحب كتاب (أدب الدنيا والدين)(): ان تعليم الخط والكتابة عند العرب كان من الأشياء المعتبرة والنافعة، فالخط والكتابة لا يقاس بهما شيء آخر، ومن هذا المنطلق فإنه بعد معركة بدر طلب النبى صلى الله عليه و اله من الأسرى أن يرفعوا أربعة آلاف دينار كفدية مقابل إطلاق سراحهم، ولما لم يكن بمقدورهم دفع مبلغ الدية، أمرهم صلى الله عليه و اله أن يعلموا مائة صبى من صبيان المدينة الكتابة.

وكان زيد بن ثابت مع عدة من فتيان الأنصار من جملة من تعلّم الخط من معلمى الكفار، وبعدها صار زيد من كتّاب الوحى ومن كتّاب القرآن.

وبالإضافة إلى الرجال فقد كان النبى صلى الله عليه و اله يستعين بالنساء المسلمات المتعلمات اللاتى يجدن القراءة وفن الكتابة، وكان يأمرهن بتعليم النساء، كما أمر النبى صلى الله عليه و اله شعثاء أم سليمان بن أبى قمة بأن تعلم زوجات النبى صلى الله عليه و اله الكتابة.

وكذلك كانت بيت فاطمة (عليها السلام) مركزاً لتعليم النساء وبيان الأحكام لهن.

ومن أثر هذه النهضة التعليمية المباركة أنه لم يمض وقت طويل على ذلك حتى ازداد عدد المتعلّمين فى المدينة، حتى من بين النساء وربات البيوت والبنات..

فكانت حفصة زوجة النبى صلى الله عليه و اله قد تعلمت الكتابة، وكذلك أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط تعلمت الكتابة، وقالت عائشة بنت سعد: علمنى أبى الكتابة فى البيت، وكانت كريمة بنت المقداد أيضاً تكتب، أما أم سلمة زوجة النبى صلى الله عليه و اله فكانت تقرأ ولاتكتب، وكانت عائشة مثل أم سلمة تقرأ ولا تكتب.

وكانت فاطمة الزهراء (عليها السلام) تكتب وتقرأ، ولنا كتاب باسم (مصحف فاطمة)(). والمصحف فى اللغة بمعنى الكتاب، أى كتاب فاطمة (عليها أفضل الصلاة والسلام).

الإسلام وخدمة الناس

إذا كانت خدمة الناس، وقيام المساواة بينهم، والعمل على رفاههم، وإحياء الحقوق الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، معيار الحكومة الصالحة واللائقة، فإن

الدولة الإسلامية بقيادة النبى الأكرم صلى الله عليه و اله تعتبر النموذج الأمثل للحكومة الصالحة والراشدة التى تأسست فى المدينة المنورة، وأقيمت على الأصول والأهداف الإنسانية العالية.

فكل حكومة استطاعت أن تقيم العدالة والمساواة فى المجتمع وتجرى القوانين الإنسانية كما فى حكومات الأنبياء، يمكننا أن نعتبرها حكومة إسلامية إذا توفرت فيها سائر الشروط()، فشكل الحكومة تكون على حسب مقتضيات الزمن، لكن الأسس لاتتغير، كما تكون

فيها جميع الحريات الإسلامية مع وجود الانتخابات الحرة بالاضافة إلى ما ذكرنا تفصيله فى الفقه.

إذن لو أردنا تشكيل الحكومة الإسلامية يجب أن تكون على غرار حكومة النبى صلى الله عليه و اله المبعوث من قبل الله تعالى، فيجب أن تكون الشورى والانتخاب الحر، كما كان النبى صلى الله عليه و اله يكثر من استشارة أصحابه فى الأمور الاجتماعية، ولم يكن صلى الله عليه و اله يأبى مشورة الناس، وكان دائماً فى إجراء الأمور والإشراف على الأعمال يطلب من الناس التدخل فى مثل هذه الشؤون، حتى أنه فى كثير من الأوقات كان يقدم رأى الأكثرية على رأيه، والتاريخ حافل بهذه الشواهد().

وكذلك كان حكومة أمير المؤمنين عليه السلام فإنها كانت نموذجا صحيحا للحكومة الإسلامية.

وفى أول خطبة للإمام على عليه السلام بعد تولى الحكم الإسلامى يقول: (أيها الناس! إنما أنا رجل منكم، لى مالكم وعلى ما عليكم).

الديمقراطية الإسلامية

تقوم الديمقراطية الإسلامية، وبالأحرى الاستشارية الإسلامية على أسس عديدة، منها:

۱: الحريات الإسلامية فى جميع مجالات الحياة، قال تعالى?: ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ().?

فالناس جميعاً أحرار فى كافة الدول الإسلامية: فى السفر والإقامة والزراعة والبناء والعمل والتجارة ونشر الكتب والمجلات والجرائد و الاستفادة من الإذاعة والتلفزيون وفى تأسيس الأحزاب والتكتلات وفى التأليف والخطابة والزواج وجميع النشاطات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها، إلا فى المحرمات الشرعية وهى قليلة جداً.

۲: أن لا يتحمل الإنسان أخطاء الآخرين، حتى وإن كان مرتكب الخطأ والجرم آباء وأجداد ذلك الشخص، قال تعالى?: ولا تزر وازرة وزر أخرى().?

۳: أن يكون الإنسان مسؤولا عن أعماله الخاصة، قال سبحانه?: تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون().?

وقال عزوجل?: وأن ليس للإنسان إلا ما سعى().?

وقال تعالى?: كل نفس بما كسبت رهينة().?

وقد ورد هذا الحديث النبوى المعروف والذى يؤكد على مسؤولية الإنسان واحساساته التى يضطلع بها: قال صلى الله عليه و اله:

(كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو المسؤول عن رعيته، والرجل فى أهله راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسؤولة عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راعٍ وهو مسؤول عن رعيته والرجل راعٍ فى مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته وكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته)().

۴: أن تراعى الحقوق العامة والمساواة بين الناس، قال تعالى?: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم().?

فلا أثر للنسب والروابط القبلية دنيا وآخرة فى عالم الإسلام، بل تتكافأ جهود الناس، يشير الحديث النبوى إلى هذه الناحية بقوله صلى الله عليه و اله: (يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم، لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا بنى عبد مناف، لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب! لا اغنى عنك من الله شيئاً لى عملى ولكم عملكم)().

ولا يخفى أن هذا الحديث لا ينافى مسألة الشفاعة فإنها صحيحة قد دلت عليها الآيات والروايات المتواترة.

وقد سمع النبى صلى الله عليه و اله أحد الصحابة يقول لصحابى آخر: يا بن السوداء!، فتألم النبى صلى الله عليه و اله من قوله هذا وقال: (ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى أو بعمل صالح)().

فالإسلام ليس كاليهودية التى جاءت لمجموعة خاصة، بل إن دعوة الإسلام دعوة عالمية عامة لكل الناس?: وما أرسلناك إلا كافة

للنـاس()، ?فالإسـلام يرفض التعصب الأـعمى والعصبيـة القبليـة وينكرهـا أشـد الإنكار، وكل من يـدعو لعصبيـة فهو مطرود من رحمة الإسـلام، يقول الرسول الأكرم صـلى الله عليه و اله: (ليس منا من دعا إلى عصبيـة، وليس منا من قال بالعصبية، وليس منا من مات على عصبية).

وسـئل عن الإمام على بن الحسـين عليه السـلام عن العصبية فقال: (العصبية التى يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شـرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين)().

عن أبى عبد الله عليه السلام: (من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه)().

وعنه عليه السلام: (من تعصب عصبه الله بعصابة من نار)().

۵: مشاورة الناس، يقول أحـد الكتّاب الإسـلاميين: (إن الحكومة العادلة ليست فقط تعطى حق الانتخاب للناس فى تعيين الحاكم، وبعد أن يأخذ ذلك الحاكم المنتخب بزمام الأمور يكون قد نساهم واسـتبد بالأمور دونهم فلا رأى لهم ولا حل ولا عقد، فالحكومة العميقة تقضـى معظم وقتها فى التعاون والمراقبة المستمرة والمشاورة مع الناس بما يخدم المصلحة العامة وينتج التقدم والرقى والرفاه والسعادة للوطن). وسنشـير إلى بعض الآيـات والأحاديث التى تحث على المشاورة وأهميتها فى الحكومـة الإسـلامية وقـد ذكرنا جملـة منها فى كتاب (الشورى فى الإسلام)().

قال تعالى?: والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون? .()

وقال سبحانه?: فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله().?

وكان النبى صلى الله عليه و اله كثيراً ما يؤكد ويقول: (أشيروا علىّ أصحابى، أشيروا علىّ أيها الناس)().

حتى أن بعض الروايات قـد أشارت: فى حالة عدم وجود آية أو حديث لحل مشـكلة اجتماعية، يمكن حل هذه المشـكلة الاجتماعية، عن طريق المشاورة مع الناس.

روى سـعيد بن المسيب، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قلت: يا رسول الله! ينزل بنا الأمر ولم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنتك، قال رسول الله صلى الله عليه و اله: (واجمعوا له العالمين من المؤمنين فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيها برأى واحد).

وقال صلى الله عليه و اله: (إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها)().

وقال الإمام على عليه السلام: (من استشار ذوى النهى والألباب فاز بالحزم والسداد)().

وقال عليه السلام: (من شاور ذوى العقول استضاء بأنوار العقول)().

وقال عليه السلام: (من لزم المشاورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا)().

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (شاور فى أمورك) ().

وقـال عليه السـلام: (وفى المشاورة اكتساب العلم، والعاقل من يسـتفيد منها علما جديـدا، ويسـتدل به على المحصول من المراد، ومثل المشورة مع أهلها مثل التفكر فى خلق السماوات والأرض وفنائهما)().

التضامن الاجتماعى والمسؤولية العامة

للإسـلام طريقـة ناجحـة فى توثيق أواصـر المجتمع، ودمـج أفراده بعضـهم ببعض، وتوحيـد صـفوفهم، وتعاضدهم وتكاتفهم.. وإيجاد الحب والوداد والأـخوة بينهم، ونبـذ الحزازات والفوارق وراء ظهورهم، فـإن الإسـلام يأمر الناس بما يقرب الناس من بعضـهم، ويشـيع فيهم الحب والإخاء والرحمة.. وينهى الناس عن أعمال تسبب التفرقة وتوجد البغضاء والشحناء والمهاترات بين أفراد المجتمع الواحد.

وفى نفس الوقت يصب الإسـلام الأـوامر والنواهى فى قـالب ينسـجم مع العقـل ويحرك العاطفـة البشـرية، وبـذلك يتم تطبيق الأـوامر

والنواهى بكل بساطة وسهولة.
لقد أوجب الله تعالى (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر)() باعتبار أن المسؤولية العامة والتضامن الاجتماعى من الأصول الأساسية للمجتمع الديمقراطى الإسلامى، يقول القرآن الكريم مشيراً إلى هذه الحقيقة?: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر()..?
وفى آية أخرى يقول سبحانه?: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر().?
فالآثار الاجتماعية المترتبة على هذه المسؤولية العامة والتضامن الاجتماعى هى كثيرة وتكون لخير الإنسانية ولصالح المجتمع الإسلامى: فالناس بخير ما تذاكروا وتشاوروا وتواصوا وتعاونوا، فإذا فرطوا فى شىء من ذلك فقد تولاهم شرارهم فلاتستجاب فيهم دعوة الأبرار.

برنامج الحكومة

لأجل إثبات الأصالة الشعبية والديمقراطية أو الاستشارية فى حكومة النبى صلى الله عليه و اله سنشير إلى بعض الفقرات من خطابه صلى الله عليه و اله فى حجة الوداع وأشار إلى بعض أهداف دولته المباركة، وفيما يلى نص خطابه:
(أيها الناس! إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، فى بلدكم ...إن ربا الجاهلية موضوع... أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حق ...أيها الناس! إنما المؤمنون اخوة ولا يحل لمؤمن مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ...أيها الناس! إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربى ولا لعجمى فضل إلا بالتقوى)().

التشكيلات الإدارية والممثلون السياسيون

أول ما استعمله النبى صلى الله عليه و اله فى إدارة الحكومة الإسلامية هو الاستفادة من التشكيلات الإدارية بالمعنى الصحيح لا بما هو متعارف فى هذا اليوم من كثرة الإدارات وأعمال الروتين.
يقول المؤرخون(): إن ديوان الإنشاء الرسائل أول تشكيل وجد فى الإسلام، واستطاع نبى الإسلام صلى الله عليه و اله بهذه الوسيلة وبواسطة بعض أصحابه أن يكاتب رؤساء القبائل والسلاطين والملوك ويدعوهم إلى الإسلام، ويكتب معهم المعاهدات والمواثيق وكان صلى الله عليه و اله يقوم بنفسه بإنشاء هذه الرسائل، وجميع هذه المكاتيب تتعلق بديوان الإنشاء ويختلف هذا الديوان عن الديوان النظامى.
وذكر المؤرخون أيضاً: كان كتّاب الوحى والرسائل للنبى صلى الله عليه و اله هم: على بن أبى طالب عليه السلام وزيد بن ثابت، وعثمان بن عفان، وأبى بن كعب. وفى حال غيابهم كان يقوم معاوية، وجابر بن سعيد، وأبان بن سعيد، والعلاء الحضرمى، وحنظلة بن الربيع بكتابة الرسائل والمكاتيب.
وقد أوصل بعضهم عدد من كان يكتب للنبى صلى الله عليه و اله إلى (۴۲) صحابياً.

المديرية السياسية للمدينة

منذ اليوم الأول الذى شكل فيه النبى صلى الله عليه و اله دولته الإسلامية فى المدينة المنورة، لم تكن إدارة المدينة بعيدة عن إشرافه، حتى فى الظروف الحساسة التى يستعد فيها للحرب ويكون خارج المدينة، وعندما يكون فى المدينة سيكون له حضور دائم بالإشراف عليها بنفسه، وعندما يغادر المدينة لسبب من الأسباب يعهد لممثليه السياسيين بالقيام بإدارتها.

وكـان من يخلفه فى غيبته صـلى الله عليه و اله هو الإمـام على بن أبى طـالب عليه السـلام، وكان عليه السـلام يشـرف على كل المواقع باسـتمرار بـأمره صـلى الله عليه و اله حتى فى الأوقـات التى كـان فيهـا النبى صـلى الله عليه و اله حاضـراً فى المدينـة أو أطرافها، وهـذا الموضوع يدل دلالة واضحة بأن المدينة المنورة كانت مركز قوة سياسية، ولا يمكن أن تخلو من الإشراف المباشر للقائد السياسى وهو النبى صلى الله عليه و اله، أو من كان يخلفه خاصة وهو الإمام على بن أبى طالب عليه السلام.

والملاحظة الأخرى التى تثير الانتباه أن انتخاب عدد من الأفراد لإدارة شؤون المدينة يشـير إلى عناية النبى صـلى الله عليه و اله بالقبائل والعشائر التى تسكن المدينة، وكان لا يرغب أن تكون المدينة تحت سيطرة مجموعة أو قبيلة خاصة.

الوظيفة السياسية لخليفة النبى صلى الله عليه و اله

ربما يمكن تلخيص الأعمال العامة لخليفة النبى صلى الله عليه و اله فى المدينة المنورة بما يلى:

۱: إقامة صلاة الجماعة وحفظ الشريعة الإسلامية وأحكامها بشكل عام.

۲: حفظ الأموال العامة.

۳: الحفـاظ على النظـام العام من عمليات البناء، بيع المواد فى الأسواق، أو الأمور المتعلقـة بها مع رعايـة جميع الحريات الإسـلامية فى البناء والعمران والتجارة وما أشبه.

۴: الحفاظ على أمن المدينة: كمراقبة تصرفات الأعداء الذين يدخلون فيها أو الذين يخرجون منها، ورصد نشاطات العناصر المشبوهة، وأحياناً حل الاختلافات القضائية لساكنى المدينة.

۵: السـعى لتقدم المسلمين فى المدينة وغيرها تقدما دينيا ودنيويا وفى جميع مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية و...

وفى بعض الأـمور المهمـة كان خليفـة النبى صـلى الله عليه و اله يصبر حتى يعود القائـد السياسـى وهو النبى صـلى الله عليه و اله ليقوم بنفسه فى حل الأمور المستعصية.

وأشار التاريخ الإسـلامى إلى الأعمال والوظائف التى يقوم بها خليفة النبى صـلى الله عليه و اله كما أشارت إليها وصـية النبى صلى الله عليه و اله لعلى عليه السلام عند استخلافه إياه فى غزوة تبوك:

(يا على! اخلفنى فى أهلى، وأضرب وخذ وأعط)().. ثم دعا صلى الله عليه و اله نساءه فقال: (اسمعن لعلىً وأطعن)().

إدارة الولايات الأخرى

بعـد فتح مكة المكرمة، انتشـر نفوذ الإسـلام فى أكثر مناطق جزيرة العرب أو كلها تقريباً، لذا كان من الطبيعى أن يقوم النبى صـلى الله عليه و اله بإيفاد ممثليه السياسيين إلى تلك الولايات لإدارة أمورها السياسية وشؤونها الاقتصادية وذلك بتعليم القرآن والتبليغ للإسلام وبيان أحكامه للناس.

وقـد ذكرت مصادر الحديث، وكتب السيرة والتاريخ أسـماء بعض الممثلين السياسـيين الذين أوفدهم النبى صـلى الله عليه و اله لتلك المدن والولايات للقيام بإدارة شؤونها، وقد أشارت إليهم تلك المصادر بالتفصـيل، وفى بعض الولايات ذكر أسـماء بعضـهم بالإضافة إلى كيفية إدارتهم لها.

وكان من بين هؤلاء من هو حـديث العهـد بالإسـلام، أمثال: عتاب بن اسـيد ممثل مكـة المكرمـة، ويعلى بن أمية، وأبو سـفيان، الذين أسلموا بعد فتح مكة المكرمة.

وظائف الممثلين السياسيين

كانت هناك عدة وظائف لممثلى النبى صلى الله عليه و اله فى مرحلة تأسيس الدولة الإسلامية يمكن الإشارة إلى بعضها فى الأمور التالية:

۱: تعليم القرآن والمعارف الإسلامية.

۲: جمع الصدقات وزكاة الأموال.

۳: حفظ حدود الولايات (الأمن الداخلى).

۴: تشكيل قوة شعبية إسلامية للجهاد.

۵: إجراء الأحكام والحدود الإسلامية.

۶: حل المنازعات والاختلافات القضائية.

۷: السعى لتقديم البلاد والعباد فى جميع مجالات الحياة.

وفى موارد أخرى كانت القبائل وعشائر العرب يعيشون حياة قبلية، دون أن يتدخل بشؤونهم ممثلو النبى صلى الله عليه و اله.

المحافظة على الأمن

يظهر لمن طالع التاريخ السياسى وتتبع المصادر أن النبى صلى الله عليه و اله كان له اهتمام خاص بمراقبة النشاطات وأعمال الممثلين السياسيين وأمراء الجيوش..

وكان صلى الله عليه و اله يرسل بعض رجال الأمن للإطلاع على تلك الأوضاع والنشاطات التى يمارسونها، فإنه كما ذكرنا فى الفقه: لا يجوز التجسس فى الإسلام إلا على الطبقة الحاكمة حتى لا يخلوا بوظائفهم، وإلا على الأعداء()..

وقد جاءت الرواية: كان رسول الله صلى الله عليه و اله إذا بعث جيشاً فعين لهم أميراً بعث معه من ثقاته من يراقبه.

وكنموذج حى لذلك، تفقّد النبى صلى الله عليه و اله عامله على البحرين: العلاء الحضرمى، بعد أن شكاه أهل تلك الديار عبد القيس وعين أبان بن سعيد خلفاً له، وأوصاه بقوله صلى الله عليه و اله: استوح بعبد القيس خيراً، أكرم سراتهم.

وكان يستوفى الحساب على العمال محاسبتهم على المستخرج والمصروفة.

وفى عهد أمير المؤمنين الإمام على عليه السلام إلى مالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه) كما هو مذكور فى " نهج البلاغة:"

(ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك فى السر لأمورهم حَدوة لهم على استعمال الأمانة،والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً فبسطت عليه العقوبة فى بدنه)().

وكتب الإمام على عليه السلام إلى عامله (كعب بن مالك) يقول: (أما بعد، فاستخلف على عملك، وأخرج طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض السواد كورة على كورة فتسألهم عن عمالهم، وتنظر فى سيرتهم).

جمع الزكاة و الوجوه الشرعية

من إحدى وظائف المسلمين هى إيتاء الزكاة وسائر الوجوه الشرعية، ومن جملة وظائف ولى أمر المسلمين الذى هو رسول الله صلى الله عليه و اله والأئمة المعصومين من بعده (عليهم السلام) جمع هذه الوجوه الشرعية وإيداعها فى بيت مال المسلمين.

وكان النبى صلى الله عليه و اله يعير اهتماماً كاملاً ودقيقاً لهذا الجانب، وكان يراقب بدقة كاملة جميع عماله الذين اختارهم لهذه

المهمة حتى لا يرتكبوا خطأ ويستغلوا موقعهم الذى هم فيه.

فقد ورد أن النبى صلى الله عليه و اله كان قد عين رجلًا من قبيلة الأزد لجمع الزكوات والصدقات الواجبة، فلم يتصرف بالشكل المطلوب، فأغضب النبى صلى الله عليه و اله وقال: (فى أى وضع هذا الرجل ...كل من نوليه أمراً، فهو يتولانا ويعيننا، فهذه مسؤولية يوم القيامة يحاسب عليها، حتى ولو كانت حيوانات، ثم رفع بيديه إلى السماء وقال: اللهم قد بلغت).

وهكذا كان وصيه أمير المؤمنين عليه السلام، ففى كتاب المقنعة عن بريد العجلى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

(بعث أمير المؤمنين عليه السلام مصدقا من الكوفة الى باديتها فقال: يا عبد الله انطلق وعليك بتقوى الله ولا تؤثر دنياك على آخرتك، وكن حافظاً لما ايتمنتك عليه، راعياً لحق الله عزوجل، حتى تأتى نادى بنى فلان، فاذا قدمت فانزل بمائهم من غير ان تخالط بيوتهم، ثم امض بسكينة ووقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ثم قل: يا عباد الله أرسلنى إليكم ولى الله لآخذ منكم حق الله فى أموالكم، فهل لله فى أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه، فإذا قال لك قائل: لا، فلا تراجعه، وان أنعم لك منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيرا، فإذا أتيت ماله فلا تدخله الا بإذنه، فان أكثره له، وقل: يا عبد الله أتأذن لى فى دخول مالك؟ فإذا إذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه ولا عنف به، فاصدع المال صدعين) الحديث().

أسماء بعض الممثلين السياسيين للنبى صلى الله عليه و اله

وقد ذكر مؤرخو الإسلام أسماء بعض الممثلين السياسيين للنبى صلى الله عليه و اله فى المدن والولايات، كما يلى:

ألف: الموفدون إلى جنوب جزيرة العرب

۱: على بن أبى طالب عليه السلام (قريش هاشم) إلى نجران، ليقوم بجمع الصدقات والجزية.

۲: المهاجر بن أبى أمية (قريش مخزوم) إلى صنعاء.

۳: زياد بن لبيد (الأنصار بياضة) إلى صنعاء.

۴: معاذ بن جبل (الأنصار سلمة) إلى حمير واليمن لتعليم القرآن، وهو من المسلمين الأوائل وكانت له سابقة فى الإسلام.

۵: عبد الله بن زيد (الأنصار بلحارث) إلى حمير، من أنصار المدينة، وكانت له سابقة حسنة.

۶: مالك بن عبادة (حمدان) إلى حمير.

۷: عقبة بن نمير (حمدان) إلى حمير.

۸: مالك بن مرة الرهاوى (مذحج) إلى حمير، وكان من المسلمين المؤمنين، وكان يعتمد عليه النبى صلى الله عليه و اله.

۹: شهر بن باذام (فارسى) عين حاكماً لصنعاء، وكان من أشراف الإيرانيين وقد أسلم.

۱۰: عامر بن شهر الهمدانى إلى همدان.

۱۱: أبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس إلى مأرب، من المسلمين قبل فتح مكة المكرمة.

۱۲: خالد بن سعيد بن العاصى (قريش عبد شمس) إلى منطقة بنى نجران والرقة وزبيد وصنعاء، وكان من مسلمى صدر الإسلام فى مكة المكرمة.

۱۳: طاهر بن أبى هلة (تميم مولى عبد الدار قريش) إلى عك وأشعر.

۱۴: يعلى بن أمية (تميم مولى نوفل قريش) إلى جند، وكان من مسلمى صدر الإسلام.

۱۵: عمرو بن حزم (الأنصار نجار) إلى نجران واليمن، وكان من أصحاب العقبة الثانية ومن شهداء الصحابة.

۱۶: أبو سفيان صخر بن حرب (قريش عبد شمس) إلى اليمن ونجران، وكان من أشراف قريش، تظاهر بالإسلام فى فتح مكة المكرمة.

ب: الموفدون إلى شرق جزيرة العرب

۱۷: العلاء بن الحضرمى (مولى قريش عبد شمس) إلى البحرين، أسلم قبل فتح مكة المكرمة.

۱۸: الأقرع بن حابس (تميم) إلى هجر (البحرين) من أشراف قريش، ومن المؤلفة قلوبهم، تسلم من النبى صلى الله عليه و اله مائة بعير.

ج: الموفدون إلى أطراف المدينة المنورة

۱۹: الوليد بن عقبة بن أبى معيد (قريش عبد شمس) إلى بنى المصطلق،

ولم يقبل ذلك، وكان من مشركى قريش، أسلم بعد فتح مكة، ولم تكن سيرته مرضية.

۲۰: عدى بن حاتم (طى) إلى قبيلتى (طى وأسد)، أسلم فى السنة التاسعة للهجرة، وكان ذا إيمان صلب، وقد حضر حرب صفين وكان من أنصار الإمام على عليه السلام.

۲۱: مالك بن نويرة() (تميم) بعثه النبى صلى الله عليه و اله إلى بنى حنظلة من قبائل بنى تميم لجمع الصدقات.

۲۲: الزبرقان بن بدر (تميم) أوفد إلى بعض بنى سعد (تميم)، كان من وفد بنى همدان فى السنة التاسعة للهجرة، ومن المؤلفة قلوبهم.

۲۳: قيس بن عاصم (تميم المنتصر) إلى بعض بنى سعد.

۲۴: كعب بن مالك (الأنصار سلمة) من مسلمى الأنصار ومن أصحاب العقبة الثانية ومن شهداء معركة بدر، وكانت له سابقة طيبة.

۲۵: عباد بن بشر (الأنصار عبد الأشهل) إلى سليم ومزينة لجمع صدقات القبائل، وكان من مسلمى الأنصار، ومبعوث النبى صلى الله عليه و اله، وذا ذوق سليم، ومن شهداء بدر.

۲۶: عمرو بن العاص (قريش) إلى قبيلة فزارة لجمع صدقاتها، من مسلمى مكة، ومن المهاجرين إلى الحبشة، وكان من أصحاب معاوية فى صفين.

۲۷: بسر بن سفيان (كعب) لجمع صدقات قبيلة كعب.

۲۸: نعيم بن عبد الله النحام (قريش عدى) لجمع صدقات قبيلة كعب، وكان من مسلمى صدر الإسلام ومن أشراف قريش، وهاجر إلى المدينة المنورة فى السنة السادسة للهجرة.

۲۹: عينية بن حص (فزارة) لجمع صدقات بنى تميم، شارك فى معركة هوازن.

۳۰: قضاعة بن عمرو (عذره) إلى قبيلة أسد.

وقد ذكر المؤرخون: أن النبى صلى الله عليه و اله بعد فتح مكة ولى عتاب ابن أسيد على مكة، وأبان بن سعيد بن العاص على البحرين، وخالد بن سعيد على صنعاء، وكانوا قد أسلموا حديثاً فى فتح مكة وتشرفوا بالإسلام.

التخصص أو التعهد فى إدارة مركز الدولة

كان النبى صلى الله عليه و اله يعهد فى الأمور الاجتماعية والإجرائية حتى إلى الذين قد أسلموا حديثاً حتى يستفاد من تجاربهم وخبراتهم ولكى يعرفوا الإسلام ويقدروه من صميم أنفسهم، وكان صلى الله عليه و اله يألف قلوبهم ويدعمهم، حيث كان بينهم الكثير من المؤلفة قلوبهم، أمثال: الأقرع بن حابس.

وكان من بين المسلمين المؤمنين أفراد لائقون ومناسبون، تتوفر فيهم التجربة والإدارة، وإن كان أحيانا عددهم غير كافٍ لإدارة الأعمال الإدارية والاجتماعية فى الدولة المركزية وأطرافها، خصوصاً لو قارنا الزمن الماضى وانتصارات المسلمين فى كل يوم مع زيادة المساحة الجغرافية فى الدولة الإسلامية والطاقة البشرية، إضافة إلى أن النبى صلى الله عليه و اله امتدت سلطته وتوسع نفوذه إلى الكويت وإلى أكيدر قرب الأردن وذلك فى أواخر السنة العاشرة للهجرة، حتى أنه صلى الله عليه و اله كان يحكم بحسب خريطة اليوم ما يقارب تسع دول..

فعلى هـذا ربما كان لم يتوفر العـدد الكافى من بين المسـلمين المؤمنين لإدارة مثل هـذا المجتمع الكبير الـذى يأخـذ بالتوسع ويـدخل المسـلمون فيه زرافـات ووحـداناً، ولمـا كـان النبى صـلى الله عليه و اله يوفـد مثل هؤلاء المسـلمين المؤمنين إلى خارج المدينـة للتبليغ وتعليم القرآن وجمع الصـدقات والوجوه الشـرعية الأـخرى، فبطبيعـة الحـال أن المدينـة فى ظـل الدولـة المركزيـة وعنـد غيـاب هؤلاء المؤمنين كـانت بـأمس الحاجـة إلى كـادر مخلص ووفى، وقـد ينجم عن عـدم سـد الفراغ بغيرهـم إلى حـدوث مشـكلات عديـدة فى إدارتها فمن هذا المنطلق اسـتفاد رسول الله صـلى الله عليه و اله من جميع الكوادر فى إدارة الحكومة الإسـلامية وحتى من الذين كانوا قد أسـلموا حديثا وكان هذا من أسـرار نجاح الإسلام فالكل كان يشعر بمكانته الاجتماعية وبشخصيته فى ظل حكومة رسول الله صلى الله عليه و اله حتى المنافقين من أمثال أبى سفيان.

لـذلك عنـدما نقرأ كتب التاريـخ والسـيرة نجـد أن النبى صـلى الله عليه و اله عهـد لمن أسـلم حـديثاً بعد فتح مكة المكرمة بالولايات وإدارة المراكز الجديـدة فى خـارج المدينـة، وذلـك بـأن يقوموا بـالشؤون الإداريـة والإجرائيـة وجمع الصـدقات والزكاة.. حتى ينتفع بتجاربهم وإدارتهم الاجتماعية، سيما وإن لهؤلاء الذين أسلموا حديثاً روابط مع القبائل والعشائر قبل فتح مكة، ولا شك ان لتنظيم هذه الأمور وإدارة المراكز الإسـلامية بهذا الأسـلوب تأثيراً كبيراً ومباشـراً، اضافة الى أن النبى صلى الله عليه و اله مع المؤمنين الأوفياء كأمير المؤمنين على عليه السلام كان لهم الإشراف والمراقبة على أعمال هؤلاء.

فعلى سبيل المثال لا الحصـر، تقدم: أن العلاء بن الحضرمى فى تفتيش الحساب وبشكوى عبد القيس منه قد عزل عن البحرين، واحتل مكانه إبان ابن سعيد، وقد أوصاه صلى الله عليه و اله بخدمة أهل البحرين والتودد لهم.

الخبروية فى الفقه الإسلامى

وكما أن الإيمان شـرط فى القضايا الإسـلامية كـذلك الخبرويـة والتخصـص حتى أن البعض أجاز الاعتماد على الخبير الأمين وإن لم يكن عادلا.

يقول الفقيه الهمدانى (قدس سره) فى بحث خاص له عن عامل الزكاة فى عصر الغيبة:

لو وجد الفقيه طفلا أو فاسـقا ذا بصـيرة فى جريان الأمور ومطلعا على المسائل السياسـية فى إدارة الدولة ويقطع أن هذا الشـخص أمين يريـد الخير فلا مانع أن يقوم هذا الشـخص بجمع الصدقات والزكاة وضـبطها وكتابتها ويصح اسـتخدامه لهذا الغرض إذا كان مثل هذا الموضوع يحرز فيه مصلحة المجتمع الإسلامى.

وهذا الكلام يدل على أهمية الخبروية والاختصاص فى مختلف المجالات.

وأما أبناء العامة فقالوا: كان النبى صلى الله عليه و اله يؤمر على القوم وفيهم من هو خير منه لأنه أيقض عينا وأبصر بالحرب().

سياسة التمركز فى الحكومة الإسلامية

عنـدما وفد قيس بن عاصم ممثلاً قومه على النبى صـلى الله عليه و اله، طرح النبى صـلى الله عليه و اله عباءته وافترشـها له ليجلس عليها احتراماً وتكريماً له، وقال صلى الله عليه و اله: هذا سيد الوبر..

ولما ارتحل قيس بن عاصم عن هذه الدنيا، قال الشاعر فى وصفه:

عليك سلام الله قيس بن عاصم

ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من ألبسته منك نعمة

إذا زار عن شحط بلادك سلما

وما كان قيس هلكهٔ هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدما

وعلى ضوء ذلك يمكننا القول: بأن كل منطقهٔ كان لها نوع من الاستقلالية فى إدارهٔ موقعها وفى نفس الوقت كانت تحت سلطهٔ ونفوذ وتصرف الدولهٔ المركزيهٔ فلم تكن هناك الحدود الجغرافيهٔ، ما نراه اليوم من تقسيم البلاد الإسلاميهٔ وفصلها بالحدود الجغرافيهٔ المصطنعهٔ فهو من الاستعمار ولم يعترف به الإسلام.

ففى السنهٔ التاسعهٔ للهجرهٔ كانت القبائل العربيهٔ تأتى وتفد على النبى صلى الله عليه و اله جماعات جماعات، لتعلن عن إسلامها، حتى سمى ذلك العام ب(عام الوفود).

فبعد إعلان إسلامهم عين لهم النبى صلى الله عليه و اله شيخ القبيلهٔ ليكون حاكماً عليهم بشرط العمل بالإسلام وإعطاء الصدقات وغيرها من الوجوه الشرعيهٔ، فقد أقر النبى صلى الله عليه و اله باذان ملك اليمن على عمله بعد إسلامه.

وفى ذيل رسالهٔ النبى صلى الله عليه و اله إلى سلطان البحرين المتضمنهٔ على إبقائه فى وظيفته جاء فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد صلى الله عليه و اله رسول الله إلى المنذر بن مساوى: سلام عليك، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد، فإنى أذكرك الله عزوجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وأنه من يطع رسلى ويتبع أمرهم فقد أطاعنى، ومن نصح لهم فقد نصح لى، وإن رسلى قد آتوا عليك خيراً، وإنى قد شفعتك فى قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزيهٔ).

وأيضاً جاء فى وصيهٔ النبى صلى الله عليه و اله لمعاذ بن جبل بأن يعين ما يريد من المسلمين ويبعثهم إلى أطراف اليمن لتعليم القرآن والمعارف الإسلاميهٔ، وهكذا..

ممثلو النبى صلى الله عليه و اله واستمراريهٔ أعمالهم الإداريهٔ

ومن المناسب أن نشير إلى أسماء من كان يمثل النبى صلى الله عليه و اله فى الأعمال الإداريهٔ والذين بقوا فى مناصبهم حتى بعد رحيل النبى صلى الله عليه و اله.

۱: عتاب بن أسيد: كان والياً وأميراً لحجاج مكهٔ المكرمهٔ، وقد شغل هذا المنصب أيضاً فى عهد أبى بكر.

۲: باذان ملك اليمن كان قبل إسلامه والياً من قبل خسرو برويز ملك ايران، وبعد أن أشهر إسلامه أبقاه النبى صلى الله عليه و اله فى منصبه الحكومى، وكان حاكماً لصنعاء، وكانت قد عاجلته المنيهٔ بعد حجهٔ الوداع فخلفه ابنه (شهر بن باذان) بأمر النبى صلى الله عليه و اله.

۳: عبد الله بن عمر بن الربيع: كان ممثلاً للنبى صلى الله عليه و اله فى قبيلتى تغلب وعبس، وبقى على وظيفته حتى زمان عمر بن الخطاب.

۴: الحارث بن نوفل: من بنى هاشم، تولى بعض مناطق مكهٔ المكرمهٔ، واستمر فى عمله حتى زمان عثمان بن عفان.

۵: صيفى بن عامر: من قبيلهٔ بنى ثعلبهٔ كان والياً للنبى صلى الله عليه و اله فى قبيلته، وأمره أبوبكر على عمله.

۶: عمرو بن حزم الأنصارى: كان يمثل النبى صلى الله عليه و اله فى بجران، وظل يمارس أعماله فى عصر أبى بكر.

۷: عمرو بن سعيد العاص: كان عاملاً للنبى صلى الله عليه و اله فى وادى القرى، واستمر على عمله حتى أيام عمر بن الخطاب.

۸: عبد الله بن سوار: كان ممثلاً للنبى صلى الله عليه و اله فى البحرين.

۹: مروهٔ بن نغاثهٔ: جاء مع قبيلته إلى النبى صلى الله عليه و اله فأعلن إسلامه، فطلب منه النبى صلى الله عليه و اله أن يكون والياً له فى

قبيلته.

۱۰: قيس بن مالك: ما أن أشهر إسلامه حتى اتخذه النبى صلى الله عليه و اله والياً له فى قومه آل حمدان مع توابعها من العرب والموالى والحلفاء، وطلب من آل حمدان أن يطيعوا أمره ويلتزموا بأوامره، بعد أن أخذ صلى الله عليه و اله منهم العهود والمواثيق.

۱۱: عمر بن أبى ربيعة: الشاعر المعروف، عينه النبى صلى الله عليه و اله حاكماً على بعض مناطق عدن، واستمر فى عمله حتى زمان قتل عمر بن الخطاب كما أن عثمان بن عفان قد رغب أن يبقى على عمله السابق.

وقد أورد بعض الشعراء () أسماء الممثلين والعمال للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين تولوا بعض الأمور القضائية، وجمع الزكاة، وأمارة الحج.

تنظيم الأمور المالية فى دولة المدينة

شرعت الجزية بعد خمس الغنائم، فالجزية على أهل الكتاب، والزكاة وخمس الغنائم وأرباح المكاسب على المسلمين.

وما جاء فى السيرة والتاريخ يدل على أن تشكيلات الجباية (أخذ الزكاة) كانت فى أواخر عهد النبى صلى الله عليه و اله وبعد نزول الآية الكريمة?: خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم().?

وقد توسعت هذه التشكيلات بعد تشريع الزكاة.

ويفهم من الروايات: أنه كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه و اله وبعده مركز اقتصادى اسمه (بيت المال) يجمع فيه الوجوه الشرعية من الزكوات وغيرها ويصرف فى مصالح المسلمين.

الجزية أو الضريبة المالية الخاصة بأهل الكتاب

الجزية فى الإسلام هى الضريبة المالية التى تأخذها الدولة الإسلامية من أهل الكتاب حتى يكون لهم التأمين على الحياة والمال، وحرية المذهب والعقيدة، فالجزية كأموال الخمس والزكاة التى تستوفى من المسلمين، فالجزية كانت فى صالح أهل الكتاب وكان مقدارها قليلًا جدا.

ومن فوائد ذلك: إن أهل الكتاب عبر اتصالهم بالمسلمين يكونوا قد تعرفوا على الأحكام والمعارف الإسلامية وبالتدريج يتجهون إلى الإسلام دون إراقة دماء.. والدولة فى المقابل تحافظ على الدماء والأعراض والأموال لأهل الكتاب.

جزية سائر الكفار

وإنى أتصور وإن لم يكن مشهوراً ان غير أهل الكتاب من سائر الكفار، يجوز أن تؤخذ منهم الجزية أيضاً.

فقد كان تحت لواء الرسول صلى الله عليه و اله المشركون كما كانوا فى زمان النبى صلى الله عليه و اله وأمير المؤمنين على عليه السلام كما فى نهج البلاغة.

فهل أنه لا يؤخذ شيء منهم إطلاقا مع أنه يؤخذ من أهل الكتاب أو يؤخذ لحفظ أموالهم وأعراضهم ودمائهم؟

إدارة الغنائم الحربية

روى أن النبى صلى الله عليه و اله قد عين معقب بن أبى فاطمة وأناط به مسؤولية ضبط الغنائم والمحافظة عليها.

إضافة إلى ذلك فإن النبى صلى الله عليه و اله كان قد عين مسؤولين معينين لخمس الغنائم يتولون ضبط الغنائم وكتابتها والحفاظ عليها بدقة كاملة.

وأيضاً فإن النبى صلى الله عليه و اله كان يصرف الغنائم على الاحتياجات، ومنها: ما كان يصرفها على عمال ضبط الغنائم، أمثال: عبد

الله ابن كعب، ومحمد بن جزر.
وكان النبى صلى الله عليه و اله قد عين سواد بن غزية الأنصارى لضبط أموال خيبر وخراجها، وكان يطلب منه تقريراً عن كيفية العمل.

الزكاة أو الضريبة الإسلامية

إن تشريع الزكاة فى النظام المالى للدولة الإسلامية قد أحدث تحولاً كبيراً، فجمع الزكاة كان بحاجة إلى تشكيل مؤسسة تقوم بوظيفتها بشكل دقيق ومنظم وإلى العمال لإحصائها، وكانت هذه المؤسسة متشكلة من: عمال الزكاة (الجباة)، والمحاسبين (الخارصون)، و(الكتّاب)، ومن هذه الجهة فإن التشكيلات المالية المتعلقة بالزكاة كانت بحاجة إلى ثلاثة أقسام من الموظفين إن صح التعبير.

تشكيل الإدارة المركزية للزكاة (المستوفى)

قام النبى صلى الله عليه و اله بتشكيل الإدارة المركزية للزكاة فى أيام الحكومة الإسلامية فى المدينة المنورة، والتى عرفت بعد ذلك فى التمدن الإسلامى ب(المستوفى)، وكانت وظيفة العامل المستوفى هى جمع الأموال الزكوية من العمال والإشراف عليها، ومن ثم تحويلها للنبى صلى الله عليه و اله.
فقد كتب المؤرخون: أن النبى صلى الله عليه و اله استخدم بعض الموظفين لتخمين الفواكه، مثل: عبد الله بن رواحة، وجبار بن صخر، وسهل ابن أبى حثمة، والصلت بن معدى كرب، وذكروا: أن حذيفة بن اليمان كان محاسباً لزكاة التمر، وعتاب بن اسيد كان محاسباً لزكاة العنب، وعروة بن عمرو، وعامر بن ساعدة كانا محاسبين لزكاة التمر فى المدينة أيضاً.
وذكرت المصادر التاريخية أنه قد عهد إلى الزبير بن العوام، و جهيم بن الصلت كتابة مسائل الزكاة.
وأمر النبى صلى الله عليه و اله بريدة الأسلمى وأوصاه بقوله: (أيما عامل استعملنا وفرضنا له رزقاً مما أصاب بعد رزقه فهو غلول).
وفى رواية أخرى: (من كان لنا عاملاً فليكتب زوجه، فإن لم يكن له خادم فليكتب خادماً، فإن لم يكن له مسكن فليكتب مسكناً).
هذه الموارد تدل دلالة صريحة على دقة النظام الإدارى فى دولة الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله مع الحفاظ على بساطة الدولة وعدم الروتين الإدارى.

مكان حفظ الأموال الزكوية

يستفاد من المصادر التاريخية أن الأموال الزكوية (الجمال، البقر، الشياه، الغلات، الحبوب، وأموال اخرى من قبيل الغنائم والجزية) كانت تحفظ فى أماكن ومحلات خاصة..
فوجود مثل هذه الأماكن فى الدولة الإسلامية لغرض حفظ أموال الدولة ضرورة حتمية، فليس من الصحيح أن تحفظ أموال الدولة فى المنازل الشخصية وبدون أى إشراف ومراقبة.

الأوقاف والصدقات العامة

روى الواقدى وابن سعد وابن شبة فى (تاريخ المدينة المنورة)():
إن رجلًا من يهود المدينة يسمى (مخيريق) أو (سلام بن مشكم) أسلم وجاء مع جيش الإسلام إلى معركة أحد وأوصى بأمواله للنبى صلى الله عليه و اله إذا قتل فيها.. حتى توضع بساتينه تحت تصرف رسول الله صلى الله عليه و اله، ليعمل بها بأمر ربه، فقتل هذا الرجل فى المعركة المذكورة ودفن إلى جنب مقبرة المسلمين.

فهذه البساتين السبعة كانت من جملة الأموال المخصوصة للنبى صلى الله عليه و اله والتى وهبها إلى ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) بأمر من الله سبحانه وتعالى.

وقد روى الحر العاملى (رحمه الله) عن الإمام الباقر عليه السلام: (ان النبى صلى الله عليه و اله قد أوصى فاطمة الزهراء ? بأن تحتفظ بأموال الإرث وتسلمها إلى على عليه السلام، ثم سلمها على عليه السلام إلى الإمامين الحسن والحسين، ? ثم انتقلت إلى الولد الأكبر من ولد الحسين عليه السلام).

والظاهر إن المراد به: الأئمة (عليهم السلام).

النظام القضائى فى دولة المدينة

قال سبحانه?: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً().?

ومعنى (يحكموك): أى التحكيم بينهم، ولغة (قضيت) أى القضاء بينهم.

وهذه الآية الكريمة تشير إلى أن رسول الله صلى الله عليه و اله كان قد أخذ بعهدته مقام التحكيم بين المسلمين، كما استقل بمقام القضاء وإدارته، فكان القضاء فى دولته المباركة افضل قضاء عرفه البشر، كما كان قضاء أمير المؤمنين على عليه السلام كذلك.

الأنبياء عليهم السلام أصحاب قوانين

نص القرآن الكريم والتوراة التى لها اعتبار دينى عند المستشرقين: على أن الله تعالى لم يبعث الأنبياء وقادة الدين إلا ليكونوا حكاماً فى مجتمعاتهم، ولا يمكن

فى أى شكل من الأشكال انفصال الخلافة والإمامة الإلهية عن القضاء والحكومة، فقد ورد فى القرآن الكريم?: يا داود إنا جعلناك خليفةً فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق().?

وسنشير إلى آيات من القرآن التى تثبت رسالة النبى محمد صلى الله عليه و اله فى هذه الناحية:

قال تعالى?: فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم().?

وقال سبحانه?: وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين().?

وقال عز من قائل?: فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم().?

وأحياناً كان النبى صلى الله عليه و اله يفوض القضاء إلى أصحابه وفى الحديث الشريف عنه صلى الله عليه و اله: (أقضاكم على عليه السلام)().

حكام النبى صلى الله عليه و اله وقضاته

ذكر بعض المؤرخين() أسماء بعض علماء المسلمين الذين ألفوا تأليفات مستوعبة فى قضاء النبى صلى الله عليه و اله، نترك تفصيلها مراعاة للاختصار.

روت أم سلمة زوجة النبى صلى الله عليه و اله حديثاً، قالت فيه: جاء رجلان إلى النبى صلى الله عليه و اله فى قضية، وما أن سمعا كلام النبى صلى الله عليه و اله حتى استغرقا فى البكاء، وكل واحد منهما يقول: وهبت حقى لأخى، فقال النبى صلى الله عليه و اله: اتركا هذا الأمر واذهبا لتطلبا الحق واقرعا بينكما، وبعد ذلك يتنازل كل منكما عن حقه لصاحبه.

فكان النبى صلى الله عليه و اله يقضى فى المسائل المختلفة بموجب الحكم الشرعى وملاحظة الدليل بعد طرح الآراء عليه، فإذا كان الدليل يساعد على إقامة الدعوى ويثبت به إدعاء المدعى، فحينئذٍ يحكم بين المتنازعين، وكان صلى الله عليه و اله يقول: (أمرت أن

أحكم فى القضايا الظاهرية والعلنية، والله يتولى الأمور المخفية والباطنية).

وفى حديث آخر انه صلى الله عليه و اله قال: (إنما أقضى بينكم بالبينات والأيمان) ().

وفى كتاب أمير المؤمنين على عليه السلام إلى رفاعة قاضية فى الأهواز: (إنما عليك الظاهر).

وفى أحد الأيام جاء إلى النبى صلى الله عليه و اله رجلان يتنازعان فى ملكية أرض، وطلبا منه أن يقضى بينهما، ولم يكن لهما من الأدلة الكافية التى تثبت مدعى كل منهما، فأمر النبى صلى الله عليه و اله بإحلافهما حتى يجرى القرعة بينهما.

وفى الشفعة أيضاً أعطى النبى صلى الله عليه و اله رأيه، وعين سهم الشريك، وقضى فى مسألة الدين وكان أحد المحكومين عليه معاذ الذى اضطر لبيع حصته إلى المرتبطين به من الشركاء.

وفى الحديث: (سوَّ بين الخصمين لحظك ولفظك، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضى حتى تسمع كلام الآخر كما سمعت كلام الأول فإنه أخرى أن يبين لك وجه القضاء) ().

ومن جملة القواعد الحقوقية التى أسسها نبى الإسلام صلى الله عليه و اله هى:

قاعدة (التسلط)().

وأصل (لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام)() وهى من أسس الحقوق الإسلامية، وتاريخ الحقوق يؤيد ذلك.

الحكام فى زمان النبى صلى الله عليه و اله

لم يكن منصب القضاء منفصلاً عن بقية المناصب الاجتماعية فى دولة المدينة المنورة.. وإذا كان النبى صلى الله عليه و اله قد بعث والياً (محافظاً) إلى مكان فلا حاجة لإرسال قاض إلى جنبه، لأن الإسلام لا يؤيد كثرة الموظفين كما ذكرنا تفصيله فى محله().

إضافة إلى أن المجتمع فى ذلك اليوم كان مجتمعاً بسيطاً، فالتحقيق فى الأمور الاجتماعية لا يستوجب أكثر من ذلك، وهكذا كان فى حكومة أمير المؤمنين على عليه السلام.. نعم قيل: إنه قد تم تأسيس بعض المقامات المختلفة أيام عمر بن الخطاب أوبعده.

وما ذكرناه لا ينافى إسناد مقام القضاء والحاكمية إلى الآخرين بدليل تزاحم الأعمال وكثرتها كما هو واضح.

جاء فى التاريخ انه كان لأخوين شركة فى دار، وقد شيداً جداراً يفصل بينهما، ثم مات الأخوان، فتنازع ورثتهما فى ملكية هذا الحائط، وجاءوا إلى النبى صلى الله عليه و اله ليقضى بينهم..

فما كان من النبى صلى الله عليه و اله إلا أن يوفد حذيفة بن اليمان لمشاهدة المحل وفحصه والتحقيق فى هذا الصدد، فذهب حذيفة إلى المكان المتنازع عليه وتأمل فيه وصوب نظره على دقائق الأمور، وانتهى بعد المشاهدة والفحص إلى أن الحائط المشيد كان بفعل الورثة، فعاد حذيفة إلى النبى صلى الله عليه و اله واطلعه على التحقيق فى القضية والنتيجة التى توصل إليها، فقال النبى صلى الله عليه و اله: أبديت رأياً صحيحاً، وعملت عملاً حسناً وفى محله.

فالولاية ومنصب القضاء فى زمان النبى صلى الله عليه و اله لم يكن منفصلاً عن بقية الوظائف والولايات الأخرى بأى نحو كان، والنبى صلى الله عليه و اله لم يسند مسؤولية القضاء لشخص بشكل كلى وعام، نعم فى بعض الموارد كان يأمر بالرجوع إلى على عليه السلام حيث قال صلى الله عليه و اله (أقضاكم على) () كما مر سابقاً، وذلك لأن القضاء جزء من الولاية والمسؤولية الملقاة على الحاكم أو الوالى، وكانت أكثر القضايا والاختلافات تحل بسهولة ويفصل بها لمجرد السؤال عن نوع المسألة وطرح الموضوع أمام النبى صلى الله عليه و اله، ومن ثم يرفع الاختلاف الناشئ عنها.

وقد رأيت أنا ما تبقى من سهولة القضاء الإسلامى قبل نصف قرن فى كربلاء المقدسة() فمرجع التقليد كان هو القاضى وأحياناً يفوض الأمر إلى أحد العلماء وكانت القضايا تحل بكل بساطة، ومن دون تعقيد.

الحبس والسجن

لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه و اله مكان معين يسمى ب (السجن) أو (المحبس).

بل إن النبى صلى الله عليه و اله غالباً ما كان يأخذ المتهمين إلى المسجد أو غرفة معينة ليكونوا تحت النظر..

وقيل انه استأجر عمر بن الخطاب داراً للسجن.

أما أمير المؤمنين على عليه السـلام فى أيام خلافته فاستفاد من مكان فى الكوفة لهذا الغرض، وسماه (نافع) ثم سماه (مخيس)، وكان السجن عادياً جداً ولايسجن احد الا فى الموارد النادرة النادرة.

أما ما نراه اليوم من كثرة السجون فهذا مما يخالف الشرع الإسلامى، هذا بالاضافة الى ان للسجين حقوقاً كثيرة فى الاسلام، ذكرناها فى بعض كتبنا().

وأشار مؤلف كتاب" أقضية رسول الله صلى الله عليه و اله "إلى بعض الإجراءات القضائية فى عصر الرسول صلى الله عليه و اله، وذكر نماذج منها:

فكان النبى صلى الله عليه و اله فى المدينة المنورة يحبس المتهم بالقتل لمدة ستة أيام ثم يخلى سبيله.

وروى: أن النبى صلى الله عليه و اله حبس رجلاً لارتكابه ديناً، وحكم أن فى مقابل إطلاق سراحه عليه أن يحرر عبده، فامتنع الرجل من تحرير عبده، فأمره النبى صلى الله عليه و اله أن تستوفى منه الخسائر لعبده.

فالمديون المتمكن الذى يمتنع من إيفاء الدين للحاكم أن يحبسه.

قال الراوى: أخذت مديناً لى وأتيت به إلى النبى صلى الله عليه و اله فقال لى: ألزمه فعل أمر من باب الإلزام ثم قال: يا أهل تميم! أتريدون أن تفعلوا بأسيركم..

وقيل: إنه كان النبى صلى الله عليه و اله قبل الهجرة إلى المدينة قد عين للأنصار نقيباً ليتحدث عنهم، كما عين صلى الله عليه و اله لكل اثنى عشر قبيلة رئيساً، كما جعل العريف وهو الممثل لمجموعة قوامها عشرة أفراداً تحت إشراف وتصرف النقيب، وكان النقيب ممثلاً لكل القبيلة وكانت بعهدته مسؤولية الحرب والصلح ونحوها، فإذا لم يستطع النقيب على حل اختلاف مجموعته، أو أن طرفى الدعوى مرتبط بقبيلة أخرى، يكون التصميم النهائى لهذا الموضوع هو الرجوع إلى شخص النبى صلى الله عليه و اله.

أول قانون قضائى للنبى صلى الله عليه و اله

بعث النبى صلى الله عليه و اله على بن أبى طالب عليه السلام إلى اليمن، وأول ما سنه فى هذا المجال هو البحث فى المسائل القضائية وإصدار الحكم فيها، وهو ما اسنده إلى على عليه السلام.

فقال على عليه السلام للنبى صلى الله عليه و اله: يا رسول الله! تبعثنى لقضاء اليمن وأنا شاب لا خبرة لى فى هذا العمل؟

فأجابه النبى صلى الله عليه و اله بقوله: إن الله سيهدى قلبك، ويحكم لسانك، فلو جلس إليك طرفا الدعوى للتقاضى، فلا تقضى بينهما حتى تسمع أقوالهما، لأن إسماعك إلى أقوالهما يظهر لك الحكم دون أن يحجبه شىء.

ثم ضرب النبى صلى الله عليه و اله بيده على صدر على عليه السلام وأخذ يدعو له، فقال على عليه السلام:

ما شككت فى قضاء بعد ذلك().

ومن جانب آخر: لما بعث النبى صلى الله عليه و اله معاذ بن جبل قاضياً إلى اليمن أوصاه أن يلين للناس ويرأف بهم، ويحذر المحاباة لبعض والشدة على آخرين، ومما جاء فى وصيته صلى الله عليه و اله له قوله:

(يسر ولا تعسر، وصل عليهم صلاة أضعفهم، وإنك ستقدم على قومٍ من أهل الكتاب يسألونك: ما مفتاح الجنة؟ فقل: شهادة أن لا إله

إلا الله وحده لاشريک له).

وفی حدیث قال النبی صلی الله علیه و اله: (أقضاكم علی بن أبی طالب)()، وهذه الرواية متواترة قد رواها مختلف صحابة النبی صلی الله علیه و اله واعترفوا بها.

والخلاصة: أن النظام القضائی كان برئاسة صلی الله علیه و اله فی المدينة المنورة وتوابع الدولة الإسلامية بأحسن ما يكون.

وفی زمان تأسيس وتكوين دولة المدينة المنورة وظهورها إلی الوجود، توسعت الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية، وازدادت مناطق المسلمين، واشتدت الحاجة إلی قضاة العدل أكثر من غيرها، فكان النبی صلی الله علیه و اله يستعين بصحابته ويستفيد منهم لمثل هذه الأمور، ولكن الموقع الحكومی أو ما يصطلح عليه بالولاية القضائية لمثل هؤلاء الصحابة كان عاديا جدا حسب بساطة الإسلام.

أما بالنسبة إلی المسائل المهمة من قبيل: الدم والقصاص فكان يرجع بها إلی شخص النبی صلی الله علیه و اله باعتباره المرجع القانونی لحل الخصومات المتنازع عليها.

هذا إذا كان الأمر وقع فی المدينة المنورة وإلا كان المرجع ولاة المسلمين المنصوبين من قبله صلی الله علیه و اله فی تلك المناطق.

وبشكل عام: فإن مهمة القضاء فی الحكومة الإسلامية كانت بسيطة جدا وبأحسن ما يمكن، ولم يكن فيها ما نراه اليوم من كثرة التعقيدات والروتين والرشوة والحكم بغير ما أنزل الله وما أشبه...

وأفضل دليل علی ذلك حكومة الرسول صلی الله علیه و اله والإمام أمير المؤمنين علی علیه السلام كما هو مذكور فی التاريخ.

ديوان المظالم فی زمن النبی صلی الله علیه و اله

يری بعض المؤرخين وبعض المعاصرين: أن ديوان المظالم كان له وجود فی زمن النبی صلی الله علیه و اله، وربما يشهد لهذا الرأی قضية سقی الماء الواقعة بين الزبير بن العوام ورجل من الأنصار، فأمر النبی صلی الله علیه و اله الزبير بقوله: اسق أنت يا زبير ثم الأنصاری. فقال الأنصاری: إن كان ابن عمتك يا رسول الله. فغضب رسول الله صلی الله علیه و اله من قوله.

واعتقد ابن خلدون أن علی بن أبی طالب علیه السلام كان يدقق فی المظالم.

وإن صح هذا الكلام وكان ديوان المظالم فی زمان الرسول صلی الله علیه و اله فلم يكن لديوان المظالم فی ذلك الوقت مثل ديوان المظالم بعد ذلك.

ديوان المظالم فی زمن أمير المؤمنين علیه السلام

أما الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام فقد قام بتأسيس ديوان المظالم ليقف بوجه تجاوزات وغارات عمال الخليفة الثالث، وليسترجع منهم ما أخذوه من حقوق الناس.

وفی التعاليم والقوانين الإدارية فی حكومة أمير المؤمنين علیه السلام نصوص يمكن أن نعتبرها الأسس الفقهية والإدارية للنظام القضائی والمظالم، ومن جملتها هذا النص الذی كتبه الإمام علی علیه السلام أيام خلافته لعماله:

(فإنی قد سيرت جنوداً هی مارة بكم إن شاء الله، وقد أوصيتهم بما يحب الله عليهم من كف الأذی، وصرف الشذی، وأنا أبرأ إليكم وإلی ذمتكم من معرة الجيش، إلا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهباً إلی شبعه، فنكلوا من تناول منهم شيئاً ظلما عن ظلمهم ...وأنا من بين أظهر الجيش، فارفعوا إلی مظالمكم وما عراكم مما يغلبكم من أمرهم، ولا تطيقون دفعه إلا بالله ربی، فأنا أغيره بمعونة الله، إن شاء الله)().

وفی مكان آخر يقول علیه السلام: (واجعل لذوی الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، ولا تجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذی خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتی يكلمك متكلميهم غير متتعتع)().

وكذلك جاء فى عهده عليه السلام: (ثم إن للوالى خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف فى معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال، ولا تقطعن لأحدٍ من حاشيتك وحامتك قطيعة، ولا يطمعن منك فى اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس فى شرب أو عمل مشترك)().

نظام الحسبة والمحتسب

إن وظيفة المحتسب مهمة للغاية فلا يجوز إهمالها والإخلال بها، ويستحق الأجرة على عمله من بيت المال، فلو قام النظام القضائى بتأدية وظيفته من استيفاء الحقوق الضائعة والمهدورة، وتم تشكيل ديوان المظالم من قبل أصحاب النفوذ ورجال الدولة، وتم التحقيق والتدقيق فيه، فحينئذٍ يسمى مثل هذا النظام (نظام الحسبة والمحتسب).

وقوانين هذا النظام الصحيح تشبه القوانين القضائية، إلا أنها تختلف عنها فيما يعود إلى المخالفات الاجتماعية وعدم رعاية نظام المجتمع.

والحسبة تشبه النظام القضائى من وجهين هما:

۱: ان نظام الحسبة يشبه النظام القضائى فى كونه يقف بوجه التعدى والتجاوز على حقوق الناس، كالغلاء والغش والتدليس فى الأجناس وقيمتها، وهذه المخالفات هى نوع من المنكر وأمر غير صحيح، فعلى المجتمع الإسلامى القائم على العدل والفضائل ومكارم الأخلاق أن يراعى هذه الظاهرة.

۲: يمكن للقاضى والمحتسب إجبار المدعى عليه بتأدية الحق المستقر بذمته، لأن التأخير فى تأدية الحق يكون عملاً عائقاً للأمور ونوعاً منكراً، فيلزم التصدى له والوقوف ضده.

ومما جاء فى إحدى الروايات: أن النبى صلى الله عليه و اله وقف يوماً فى سوق المدينة إلى جنب مكان قد جمع فيه القمح (الحنطة) فأعجبه هذا المنظر وأدخل يده فيه، وأخرج شيئاً وقال لمالك القمح: ما هذا؟

فأجابه المالك: إن هذا قد وقع من السماء أى من تساقط المطر.

فسأله النبى صلى الله عليه و اله: وأنت تعرض للناس بشىء جيد. ثم قال: أيها الناس! لايجوز الغش بين المسلمين، فمن غشنا فليس منا().

وكان النبى صلى الله عليه و اله يبعث أحداً من صحابته لمراقبة سوق المدينة، وبعد فتح مكة المكرمة أمر النبى صلى الله عليه و اله سعيد بن العاص بن أمية، أن يقوم بمراقبة السوق.

الشرطة والحرس

فى المفهوم الإسلامى يقال لكل من يضبط المخالفين والأوباش: (الشرطى) أو (العس).

وكلمة (عسّ) فى لغة العرب من أصل (عسس)، أى الذى يجوب الليل ليحرس الناس من السراق والمعتدين.

جاء فى بعض الروايات: كان النبى صلى الله عليه و اله يقظاً فى الليلة التى سبقت مجيئه إلى المدينة، لأنه كان يتوقع أن يلحق به الضرر من قريش، فقال صلى الله عليه و اله: يا ليت لنا من حارس يحرسنا فى الليل.

فسمع عند ذلك خشخشة السلاح، فقال النبى صلى الله عليه و اله: من أنت؟

فأجابه سعد بن أبى وقاص: أنا يا رسول الله!

فسأله النبى صلى الله عليه و اله: ما الذى دعاك إلى المجىء فى هذا الوقت من الليل؟

فأجاب سعد: قد وقع فى قلبى أن قريش ستفجع النبى صلى الله عليه و اله، لهذا جئت لأحرسك.

وكتب المقريزى فى (الخطط): أول من تولى الحراسة فى الليل هو عبد الله بن مسعود، فقد أمره أبوبكر أن يجوب شوارع المدينة فى الليل.

وورد فى كتاب" مشكل الصحيحين: "أنه فى زمان أبى بكر وعندما ادعى طليحة ابن خويلد الأسدى النبوة الكاذبة، وأصبحت أوضاع المدينة فى هرج ومرج، وكان يتوقع أن يهجم أتباعه على المسلمين، طلب أبو بكر من على عليه السلام والزبير وطلحة أن يحرس كل منهم طريقاً جبلياً ينتهى إلى المدينة، كما أمر أيضاً عبد الله بن مسعود أن يجوب المدينة ليلًا للحراسة والمراقبة.

وقد استحدث نظام الحراسة (الشرطة) فى عصر الإمام على عليه السلام، وفى وصيته عليه السلام لمالك الأشتر (رضوان الله عليه) تتجلى هذه الحقيقة حين يأمره بأن يجعل لحراسه وشرطته مجلساً لتزول عنهم الوحشة والخوف.

وروى الطبرى: أن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام قد أناط قيادة شرطة الخميس فى إحدى الحروب بقيس بن سعد، وكان مؤلفاً من أربعين ألف رجل حربى.

الأيديولوجية الفكرية والعملية

كان رسول الله صلى الله عليه و اله من أعظم أنبياء أولى العزم وكانت رسالته عالمية، جاءت للناس كافة لإنقاذهم من الشرك والكفر، والظلم والعدوان وتبشيرهم بالآخرة وإنذارهم إن خالفوا الحق والعدل، قال تعالى?: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين() ?وتكفلت رسالته العدالة الاجتماعية واستقامة الإنسان على مكارم الأخلاق، وتحقيق السعادة فى حياة الفرد والمجتمع.

ولقد بشّر الأنبياء السابقون عليهم السلام أتباعهم بظهور الإسلام حتى أنه جاءت بعض أوصاف نبى الإسلام صلى الله عليه و اله فى كتبهم السماوية.

ومن هنا رأينا اليهود والنصارى وأتباع باقى الأديان فى فترة ما قبل البعثة يعيشون فترة انتظار وشوق شديد لظهور الإسلام بعد أن دب إليهم الضعف والوهن والتمزق والتحريف، فعادت سفينتهم محطمة الشراع منهمكة القوى، فليس إلا الأمل وانتظار الوصول إلى ساحل النجاة، وحتى أن عدة من اليهود قد عينت كتبهم مكاناً بخصوصه يقع بين جبل (عير) فى شمال المدينة وجبل (أحد) فى جنوبها، كمركز للحكومة الإسلامية، ولذا فقد بحثوا عنه بجدٍ وارتحلوا إليه، وظلوا يعيشون على أمل ظهور الحق والإسلام.

والقرآن الكريم أصدق شاهد على أن التوراة والإنجيل قد أخبرا بظهور نبى الإسلام، إذ يقول تعالى?: الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون().?

فرسالة رسول الله صلى الله عليه و اله هى لنجاة الإنسان، وهدفها رسم أفق أوسع وأعلى، لإنقاذ البشرية من أوحال المادة والشهوة لكى تتعرف الإنسانية على حقول اللذة المعنوية الواقعية وترجع عن السير فى دروب المادية البحتة، فتخطو بخطوات ثابتة على طريق السعادة.

ورسالة النبى صلى الله عليه و اله حرية بأن تحيى النفوس الميتة والطاقات الهامدة بتعاليمها الرائعة فتنمو بعد الإحياء وتصل إلى رشدها وتكاملها، فتبدو للإنسان حياة سامية فى ظل الإسلام وقوانينه وتستهدف أروع الأهداف، والآن فلنلاحظ بعض أبعاد تلك الحياة التى يريدها الإسلام للبشرية، وهى (الأمة والواحدة) و (الأخوة الإسلامية) و (الحرية فيما عدا المحرمات)، والرقابة الاجتماعية، والدفع نحو العلم، والعمل والسعى، والتشكيل العائلى النظيف، وجعل الخلافة الصحيحة لتسير البشرية بعد الرسول صلى الله عليه و اله سيراً صحيحاً. وهذه الحقيقة صرحت بها الآيات القرآنية باعتبارها النموذج الأمثل.

قال تعالى?: قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله

ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون().?
وقال سبحانه?: وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً().?
وقال عز من قائل?: يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس().?
وقال تعالى?: إن هذه أمتكم أمة واحدة().?
وقال سبحانه?: ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم().?
وقال عز وجل?: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون().?
إلى غيرها من الآيات، بالإضافة إلى متواتر الروايات.

النبى صلى الله عليه و اله ودفع الظلم

إن من إحدى الوظائف المهمة للأنبياء عليهم السلام بشكل عام: هو إقامة العدل والقسط، وإزالة أى نوع من الظلم والاضطهاد، وقد أشار الله سبحانه إلى هذه الحقيقة، بقوله جل وعلا?: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط().?
وقال تعالى?: يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله().?
وهكذا كانت حكومة رسول الله صلى الله عليه و اله والإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.
قال عليه السلام: (والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها واسترق لى قطانها مذعنة بأملاكها على أن أعصى الله فى نملة أسلبها شعيرة ما فعلته وإن دنياكم عندى لأهون من ورقة فى فم جرادة تقضمها)().

تنظيم السياسة الخارجية للدولة

ترتبط السياسة الداخلية بإدارة شؤون المدن وتنظيم القواعد الحكومية بالنسبة إلى الولايات والمحافظات مع ملاحظة الاعتبارات لأهالى المنطقة من: دين وفكر، وثقافة، وآداب ورسوم، التى تساعد على رفاهية الناس، وتعيين الشخصيات الكفوءة المتخصصة والمناسبة لإدارة الدولة، وإحلال الأمن، وتأمين رفاه الناس وسعادتهم، وكذلك العمل على وحدة الوطن والقوميات التى تعيش فيه، مع إيجاد الإحساس والشعور بالمسؤولية فى الدفاع عن الحياة المعنوية والاقتصادية والسياسية.. حتى يشعر الكل بأنهم أعضاء أمة واحدة، ويساهمون فى بناء وطن حر مستقل إسلامى.
أما السياسة الخارجية والروابط العالمية: فترتبط بالدول الأخرى من خلال إقامة علاقات مشتركة يعود نفعها على الجميع سواء كانت تلك الدول صديقة أم عدوة، والهدف من ذلك اتحاد البشرية وإزالة المشكلات الناجمة من تباين الأهداف، وتبادل المنافع المشتركة. وقد ذكرنا فى كتاب (إذا قام الإسلام فى العراق) بعض ما يرتبط بهذا الأمر().
وقد نقل صاحب كتاب" مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى() "الوثائق السياسية والمعاهدات ورسائل الدعوة والتبليغ من قبل النبى صلى الله عليه و اله إلى رؤساء الدول والملوك والقبائل والهيئات المذهبية..

نماذج من رسائل النبى صلى الله عليه و اله إلى رؤساء الدول والقبائل

نماذج من رسائل النبى صلى الله عليه و اله إلى رؤساء الدول والقبائل

وهنا لابد أن نشير إلى نماذج من رسائل النبى صلى الله عليه و اله التى تعتبر جزءاً مهماً فى سياسته الخارجية.
فبعد صلح الحديبية فى السنة السادسة للهجرة، كتب النبى صلى الله عليه و اله فى يوم واحد رسائل إلى زعماء الدول ورؤساء القبائل،

فكتب صلى الله عليه و اله إلى: (إمبراطور الروم، إمبراطور إيران، وملك الحبشة، وأقباط مصر، وإمبراطور الشام، وإمبراطور اليمامة) ودعاهم فيها إلى الإسلام.

ومضمون هذه الرسائل واحد وإن اختلفت ألفاظها، وكلها تحكى عن الدعوة إلى الإسلام، والصلح، ومستقبل الحق والأمن والسلام فى الدنيا والآخرة.

رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى هرقل

۱: رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى هرقل عظيم الروم:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، عبده ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسين?() قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون().?

والأريسين: جمع أريس، أى المزارع، وفى بعض الروايات هكذا وردت عبارته صلى الله عليه و اله: (فإن إثم الأكارين عليك) بدل (الأريسين) ومعناها الفلاّح.

رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى كسرى

۲: رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى كسرى ملك إيران:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بداعية الله عزوجل، فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس)().

رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى النجاشى

۳: رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى ملك الحبشة:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشى الأضخم ملك الحبشة: بسلم أنت، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، حمله من روحه ونفخ كما خلق آدم بيده ونفخه، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وإن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله وقد بعثت إليك ابن عمى جعفر ونفراً من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر، وإنى أدعوك وجنودك إلى الله عزوجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحى، والسلام عليكم وعلى من اتبع الهدى)().

رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى النجاشى الثانى

۴: رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى النجاشى الثانى:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من النبى صلى الله عليه و اله إلى النجاشى عظيم الحبشة: سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإنى رسوله، فأسلم تسلم? قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون() ?فإن أبيت فعليك إثم النصارى)().

ولا يخفى أن لقب ملك الحبشة كان (الأضخم).

رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى المقوقس

۵: رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى المقوقس كبير القبط():
بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط، و? قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون().?

رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى ملك مصر

۶: رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى ملك مصر:
روى أن النبى صلى الله عليه و اله كتب رسالة ثانية إلى المقوقس ملك مصر، وفيما يلى نصها:
(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى صاحب مصر، أما بعد، فإن الله أرسلنى رسولاً، وأنزل على قرآناً، وألزمنى بالاعذار والإنذار ومقاتلة الكفار، حتى يدينوا دينى، ويدخل الناس فى ملتى، وقد دعوتك إلى الإقرار لوحدانيته، فإن فعلت سعدت، وإن أبيت شقيت، والسلام).

رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى صاحب دمشق

۷: رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى صاحب دمشق:
(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبى شمر: سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله وصدق، وإنى أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكك)().

رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى ملك البحرين

۸: رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين:
(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى: سلم أنت، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد: فإن من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله ممن أحب ذلك من المجوس فإنه آمن، ومن أبى فعليه الجزية)().

رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى ملك اليمامة

۹: رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى هوذة بن على ملك اليمامة:
(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هوذة بن على: سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، فاسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك)().

رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى ملوك عمان

۱۰: رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى جعفر و عبد النبى ملكى عمان:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى جعفر وعبد النبى الجلندى: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنى أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإنى رسول الله إلى الناس كافةً لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وانكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام، فإنه زائل عنكما وخيلى تحل بساحتكما، وتظهر نبوتى على ملككما)().

تاريخ رسائل النبى صلى الله عليه و اله

ذكر المؤرخون(): عندما رجع النبى صلى الله عليه و اله من صلح الحديبية وذلك فى ذى الحجة من السنة السادسة للهجرة، بعث إلى الملوك ورؤساء الدول والقبائل يدعوهم إلى الإسلام.

وفى يوم واحد أرسل ستة من مبعوثيه ممن يعرفون لغات القوم، وكان النبى صلى الله عليه و اله يختم الرسائل بختمه المبارك وكان ختمه من الفضة منقوشاً عليه ثلاثة أسطر، وكان الملوك لا يقرؤون الرسائل غير المختومة.

وذكر بعض المفسرين فى ذيل الآية?: وأوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ()، ?إنه لما نزلت هذه الآية كتب النبى صلى الله عليه و اله رسائل إلى الملوك المعاصرين، أمثال: كسرى، قيصر، النجاشى، وبقية جبابرة الزمان، يدعوهم إلى الدخول فى الإسلام والاعتقاد بالتوحيد.

المبعوثون السياسيون

تشكلت البعثة السياسية التى أوفدها النبى صلى الله عليه و اله إلى الملوك والرؤساء من:

۱: عمرو بن أمية الضمرى: أوفده إلى ملك الحبشة.

۲: دحية بن خليفة الكلبى: أوفد ه إلى قيصر ملك الروم.

۳: عبد الله بن حذافة المهمى: أوفده إلى خسرو برويز ملك إيران.

۴: حاطب بن أبى بلتعة: أوفده إلى المصر، الإسكندرية إلى المقوقس ملك مصر.

۵: شجاع بن وهب الأسدى: أوفده إلى الحارث بن أبى شكر الغسانى ملك دمشق.

۶: سليط بن عمرو العامرى: أوفده إلى هوذة بن على ملك اليمامة.

التشريفات الدبلوماسية

بالإضافة إلى العبارات الأدبية والكلامية فى رسائل النبى صلى الله عليه و اله باعتباره نبياً ورئيساً لأكبر دولة إسلامية، كذلك كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يلاحظ فيها الأبعاد التبليغية، والأهداف السياسية والدبلوماسية، فكان يراعى أيضاً الأمور التالية:

۱: الشجاعة والاعتماد الكامل بالنفس، فالشخص الدبلوماسى والرجل السياسى لابد أن يكون مطمئناً ومعتمداً اعتمادا كاملاً على شخصيته فى إبلاغ ندائه وثقافته ورسالته لمخاطبيه.

۲: كان صلى الله عليه و اله يراعى الألقاب الرسمية فى الرسائل الرسمية، مثل: إلى هرقل عظيم الروم، إلى كسرى عظيم فارس، عظيم القبط، وغير ذلك.

۳: الترغيب والتهديد المعقول والمناسب فى ضمن رسالة واحدة، مثل: (أسلم تسلم).

۴: الاستناد إلى الاستدلال والمنطق، عندما يكون مخاطبوه من أهل الكتاب، ومن له ثقافة عالية، مثل: الرسالة التى بعثها إلى النجاشى ملك الحبشة.

۵: إبلاغ النداء النهائى للإسلام، وتحرير الإنسان، ونفى الاستثمار، وتشاهد هذه النقطة فى خاتمة رسالته بآية?: يا أهل الكتاب().?
۶: بقاء واستمرارية أعمال الحاكمية والقدرة ونفوذ السلطة فى حالة الاستجابة لنداء الإسلام وقبول حاكمية الدولة الإسلامية، كما يظهر من رسالته إلى هوذة بن على ملك اليمامة، والحارث بن أبى شمر الغسانى ملك دمشق، والتأكيد عليهما فى الرسالتين.
۷: الاطمئنان من بسط نفوذه صلى الله عليه و اله وانتصار النداء، كما يظهر جلياً فى ذيل رسالته إلى هوذة بن على مشيراً إليه بقوله صلى الله عليه و اله": واعلم أن دينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر."

ردود الفعل على رسائله صلى الله عليه و اله

إن ردود الفعل من قبل رؤساء الدول على نداء النبى صلى الله عليه و اله التبليغى كان متفاوتاً، فبعضهم استجاب للواقع بذكاء سياسى، مثل: النجاشى الذى استجاب لدعوة التوحيد وتشرف بالدين الجديد، وأرسل هدية أيضاً إلى النبى صلى الله عليه و اله.
ولكن البعض الآخر أصر على تكبره وتجبره من قبول دعوة التوحيد، والاستخفاف بنداء النبى صلى الله عليه و اله، مثل خسرو برويز ملك إيران حتى بعث اليه صلى الله عليه و اله برسالة تهديد.
والبعض الآخر كان متردداً فى هذا الأمر، بين قبوله أو رفضه، مثل قيصر والمقوقس، اللذين كانا يخشيان ملتهما، وكونها من العوام، فامتنعا من قبول دعوة التوحيد وإبلاغ النبى صلى الله عليه و اله بالكامل.
كما بعث صلى الله عليه و اله برسائل أخرى إلى رؤساء القبائل والشيوخ، وأدت النتيجة إلى انتصاره صلى الله عليه و اله وبسط دولته العادلة ونفوذه الحكيمة على جميع أراضى الجزيرة العربية، وكانت قبائل العرب تأتى إليه صلى الله عليه و اله جماعات جماعات وأفواج أفواج معلنين عن استقبالهم لدين الإسلام والانضمام تحت راية التوحيد، كما قال تعالى:
?بسم الله الرحمن الرحيم، إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً().?

الدعوة العالمية للإسلام

يمكن تلخيص روح الرسالة الإسلامية فى شعار" لا إله إلا الله "وهو سر علو الإسلام وعطائه السخى..
إذ لو أننا شبهنا الإسلام بالشجرة، كانت الأفكار والعقيدة بمنزلة الجذور الراسخة وأنه لمن الواضح أن سلامة الشجرة وأغصانها متوقفة تماماً على سلامة الجذور الأساسية..
ولا ريب فى أن أساس الأيدلوجية الإسلامية المتمركزة فى ذلك الشعار الخالد يمتلك أروع وأقوى إمكانية على المدى المتواصل.
۱: قال تعالى?: إن هو إلا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين().?
۲: وقال سبحانه?: إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين().?
۳: وقال عز وجل?: تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً().?
۴: وقال سبحانه?: وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون().?
۵: وقال عز من قائل?: ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين().?
۶: وقال تعالى?: ما فرطنا فى الكتاب من شيء().?
۷: وقال سبحانه?: قل ما كنت بدعاً من الرسل().?
۸: قال عز من قائل?: ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين().?
إلى غيرها من الآيات والروايات.

الاستقلال السیاسی

یعتبر أصل الاستقلال السیاسی وحاکمیة الدولة فی مقابل القوی الخارجیة من الأصول المسلمة، فیلزم علی کل دولة أن تتعهد بمراعاة ذلک.

وهکذا کانت الدولة الإسلامیة فی المدینة المنورة مستقلة بتمام معنی الکلمة وذلک ببرکة سیاسة رسول الله صلی الله علیه و اله الحکیمة.

یقول القرآن الکریم بصدد هذا الأصل?: ما یود الذین کفروا من أهل الکتاب ولا المشرکین أن ینزل علیکم من خیرٍ من ربکم والله یختص برحمته من یشاء والله ذو الفضل العظیم().?

وقال عزوجل?: إن تمسسکم حسنة تسؤهم وإن تصبکم سیئة یفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا یضرکم کیدهم شیئاً إن الله بما یعملون محیط().?

عدم نفوذ الغزو الفکری

کما أن المسلمین کانوا فی معتقداتهم راسخین جدا، وقد أعطاهم رسول الله صلی الله علیه و اله حصانة فکریة کاملة وذلک عن دلیل وبرهان.

ومثل هذا الشیء تجده فی بعض إشارات الآیات القرآنیة، کقوله تعالی?: یا أیها الذین آمنوا إن تطیعوا الذین کفروا یردوکم علی أعقابکم فتنقلبوا خاسرین بل الله مولاکم وهو خیر الناصرین().?

وقوله سبحانه?: ولن ترضی عنک الیهود ولاـ النصاری حتی تتبع ملتهم قل إن هدی الله هو الهدی ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذی جاءک من العلم مالک من الله من ولی ولا نصیر().?

هذا بالإضافة إلی أن الإسلام وتعالیمه مطابقة للفطرة السلیمة کما أشار الحدیث النبوی الشریف إلی هذه النقطة بقوله صلی الله علیه و اله: (کل مولود یولد علی الفطرة ثم أبواه یهودانه ویمجسانه وینصرانه)().

نفی سلطة الأجنبی

هذا القانون فی الاصطلاح الحقوقی یبین فی الأصل بنفی سبیل الأجنبی، وقد أشار القرآن الکریم الی هذا الأصل فی قوله تعالی: ?ولن یجعل الله للکافرین علی المؤمنین سبیلاً()، ?وقال رسول الله صلی الله علیه و اله: (الإسلام ویعلو ولا یعلی علیه)().

معاهدة التعاون وعدم التعرض للأجانب

یمکن للحکومة الإسلامیة استناداً للمصالح العامة والمنافع المشترکة أن تعقد معاهدات للتعاون بینها وبین الدول الخارجیة إذا لم تؤدِّ هذه الروابط المتبادلة إلی تسلط النفوذ الأجنبی وأن یحیک المؤامرات الداخلیة ویوسع شقة الخلاف فی المجتمع الواحد، بل یعیش المسلمون وغیرهم فی أمان وسلام دون ظلم وتحیز وتعسف واضطهاد.

ویمکن استفادة هذا الأصل من عدد من الآیات القرآنیة الکریمة:

۱: قال تعالی?: لاـ ینهاکم الله عن الذین لم یقاتلوکم فی الدین ولم یخرجوکم من دیارکم أن تبروهم وتقسطوا إلیهم إن الله یحب المقسطین إنما ینهاکم الله عن الذین قاتلوکم فی الدین وأخرجوکم من دیارکم وظاهروا علی إخراجکم أن تولوهم ومن یتولهم فأولئک هم الظالمون().?

۲: وقال سبحانه?: وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم().?

۳: وقال تعالى?: إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً

ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين().?

كما يمكن استفادة ذلك من المعاهدة المشتركة التى عقدها رسول الله صلى الله عليه و اله بين المسلمين واليهود وإن كان اليهود خالفوا هذه المعاهدة ونقضوا بنودها، فكان فيها:

۱: وإنه من يتضامن اليهود فإن له النصر غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

۲: وإن اليهود متفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

۳: لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

۴: وإن على اليهود نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

۵: وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ دون الإثم.

۶: وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.

معاهدة صلح الحديبية

كما يمكن استفادة ذلك من معاهدة صلح الحديبية، وهذه المعاهدة عقدها النبى الأكرم صلى الله عليه و اله فى مكان يدعى "الحديبية "مع مشركى مكة، وسنشير إلى بعض ما ورد فيها:

۱: يتعهد المسلمون وقريش لمدة أربع سنوات أو عشر سنوات أن يتركوا النزاع والخصومات فيما بينهم ولا يتعرض كل منهم إلى الآخر.

۲: أن لا يرتكبوا الخيانة والسرقة، وتكون أموالهم محترمة.

۳: يكون المسلم فى أمان عندما يدخل مكة المكرمة بقصد الحج أو العمرة أو السفر إلى اليمن أو الطائف، وكذلك يكون المشركون فى أمان عندما يقصدون الشام أو المشرق ويدخلون المدينة المنورة.

۴: يحق للمسلمين وقريش أن يتحالفوا مع أى قبيلة، ويكون الحليف محترماً.

۵: يتعهد المسلمون وقريش أن لا يخونوا أحدهم الآخر، وأن لا يتعادوا أو يخدعوا، وأن يزيلوا الحقد من قلوبهم.

۶: محمد صلى الله عليه و اله وأصحابه يدخلون مكة المكرمة العام القادم بقصد أداء مراسم الحج، وأن يتخلوا عن حمل السلاح، ولم يتوقفوا فى مكة أكثر من ثلاثة أيام.

المعاهدة مع يوض

كما يمكن استفادة ذلك أيضا من معاهدة يوض وهذه معاهدة أمان كتبها النبى صلى الله عليه و اله إلى يوض حاكم ايله، وهذا نصها: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمان من الله ورسوله إلى يوض بن روزبه وأهالى ايله على أنفسهم وبواخرهم ووسائل بحرهم وبرهم، وكذلك أهل الشام واليمن والبحرين الذين يمرون من تلك الأرض فى ذمة الله وذمة رسوله، كما يتعهد أهل أيله أنهم إذا ارتكبوا قتلاً فتدفع دية المقتول لأوليائه، كما يتعهدون أنهم عندما يردون بحراً أن لا يحرموا غيرهم من الاستفادة منه، وأن لا يسدوا الطرق البحرية والبرية بوجه الآخرين).

المعاهدة مع نصارى نجران

كما يمكن استفادة ذلك أيضا من المعاهدة التى عقدها رسول الله صلى الله عليه و اله مع نصارى نجران وكان فيها:

۱: يتعهد أهل نجران أن يدفعوا ألفى حلة كل عام بصورة جزية.

۲: أن يضيفوا مبعوثى محمد صلى الله عليه و اله لمدة شهر، وأن لايتوقف المبعوثون أكثر من شهر واحد فى هذا المكان.

۳: لو حدثت الحرب من جهة اليمن، فعلى أهل نجران أن يتعاونوا مع الحكومة الإسلامية، وأن يجعلوا تحت تصرف الجنود ثلاثين سلاحاً وثلاثين حصاناً بصورة عارية مضمونة فى الذمة.

۴: يكون أهالى نجران وأطرافها فى ذمة الله وذمة رسوله على أنفسهم وأموالهم ومعابدهم، ويبقى الأساقفة والرهبان وخدمة المعابد على أعمالهم دون ممانعة.

۵: لا يحق لأحد أن يقوم بإبعادهم من أرضهم، أو يأخذ منهم العشر أو يهجم عليهم.

۶: كل من يطالب بحقه يجب أن يعامل بإنصاف وعدالة.

۷: لا يؤخذ أحد بجرم غيره.

۸: يتعهد أهل نجران بعدم تعاطى الربا.

وفى غير هذه الحالة يكون محمد صلى الله عليه و اله غير ملزم تجاههم.

التعايش السلمى فى ظل الدولة الإسلامية

ذكر القرآن الكريم الأديان الموحدة فى موارد منها:

۱: قال تعالى?: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون().?

۲: وقال سبحانه?: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد().?

التعامل مع المسيحيين

فجاء خطاب القرآن ورسائل النبى الأكرم صلى الله عليه و اله إلى المسيحيين بلغة العطف والملائمة، سواء كان ذلك مع مسيحيى الحبشة الذين هاجر إليهم المسلمون، أو مع مسيحيى نجران الذين أبوا أن يباهلوا النبى صلى الله عليه و اله.

وقد أشار القرآن الكريم إلى المسيحيين بأنهم أهل عاطفة وتودد، وربما أثنى عليهم، وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على عظمة تعاليم السيد المسيح عليه السلام التى بشرت برسالة رسول الإسلام صلى الله عليه و اله ودعت أتباعه إلى المحبة والرأفة والتى كان لها التأثير البالغ فى نفوس الأتباع، لذا فإن الرهبان وأتباع السيد المسيح عليه السلام الواقعيين تراهم عادة أصحاب عاطفة وقلوب نقية، ومحبة صادقة، وطبيعى أن للمحبة تأثير بالغ فى شخصية الإنسان ولطافة الروح، وهذا عامل مهم يحسب له حسابه.

ويشير القرآن الكريم إلى المسيحيين بقوله تعالى?: ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لايستكبرون().?

ولما هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة: ذكر النبى صلى الله عليه و اله النجاشى بأجمل الصفات حيث قال: (ولو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه)().

وفى رسالة النبى صلى الله عليه و اله إلى رؤساء المسيحيين، ومن ضمنهم النجاشى، أخذ صلى الله عليه و اله يمجد السيد المسيح وأمه مريم (عليهما السلام)، وفى خاتمة رسالته صلى الله عليه و اله يؤكد للنجاشى أنه يريد له الخير والعزة والرفعة: (وإنى أدعوك إلى الله

عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبل نصحی، والسلام علی من اتبع الهدی)().

وبعد أن یأس المسیحیون فی نجران من مباهلة النبی صلی الله علیه و اله وأهل بیته (علیهم السلام) لما وجدوا فی الرسول صلی الله علیه و اله من عظم شأن ومقام عند الله، وقالوا إن محمداً وعلیاً وفاطمة والحسن والحسین (علیهم السلام) شخصیات رفیعة ومقربة عند الله ولا یمکن مباهلتهم، عقدوا معه صلی الله علیه و اله صلحاً یدفعوا الخراج والضریبة، وکان مسیحیو نجران یطبقون قوانینهم ومعتقداتهم بکل حریة ودون أی تعسف واضطهاد من قبل المسلمین.

یقول الکاتب المسیحی جرجی زیدان فی کتابه" تاریخ التمدن الإسلامی "بعد بحث مفصل عن أسباب انتصار المسلمین.. فیصل إلی النتیجة التالیة:

بأنه لم یتسلط أو یستول المسلمون علی الآخرین من أتباع الأدیان الأخری بالسیف، وحتی أن الناس فی المناطق التی فتحها المسلمون کانوا یفضلون الحاکم المسلم علی حاکمهم ویرجحونه علیه، والجزیة التی کانت تدفع للمسلمین لا تساوی شیئاً إذا قیست بمجموع الضرائب التی کان یستوفیها منهم حکام الروم وفارس، ویشهد لذلک الرسالة التی بعثها المسیحیون الذین یسکنون باب الدروازة فی الأردن عند فتح المسلمین لها:

(أیها المسلمون! نحن نرحب بکم ونرجحکم علی من هم من جنسنا، فأنتم ترکتمونا لوحدنا، وأبدیتم لنا المحبة والرحمة لنباشر طقوسنا بکل حریة وانطلاق، ولم یبد منکم ظلم وأذی لنا، فحکومتکم لنا أفضل بمراتب من حکومة الآخرین الذین أغاروا علی أموالنا، واستولوا علی دورنا).

التعامل مع الیهود

أما الیهود فقد کانوا علی عکس ذلک، فإن الأیادی البیضاء التی لله علی الیهود، ونطقت بفضلها کتب السماء ...أورثهم الأرض... فضلهم علی العالمین ... نجاهم من الجبابرة ...خصهم بالأنبیاء والحکماء والمصلحین...

لکن الیهود أساءوا تماماً فهم الحکمة الإلهیة الکامنة فی هذا الکرم الإلهی العظیم ...فقتلوا أنبیاءه وخانوا أماناتهم، ولم یزدهم حلمه إلا جحوداً واستکباراً ...هکذا کانوا مع الله.. فهل ینتظر منهم أن یکونوا خیراً من ذلک مع خلق الله؟

لقد حلل القرآن الکریم الخلق الیهودی ووصف ما انطوی علیه ذلک الخلق من الانحطاط، ولیس المقصود إحصاء کل الذی نزل فی الیهود، وإنما نکتفی بذکر جانب من الآیات الکریمة التی نزلت منذ أربعة عشر قرناً لتظل شاهدة أبد الدهر علی ان الیهود لا یغیرون ما بأنفسهم من الصفات القبیحة والعادات الذمیمة..

نعم کان منهم أناس علی الفطرة وآمنوا برسول الله وهکذا آمن جماعات منهم طول التاریخ الإسلامی وصاروا من المسلمین المؤمنین ولکن الکلام فی الطابع العام.

۱: قال تعالی?: لا یقاتلونکم جمیعاً إلا فی قری محصنة أو من وراء جدر().?

۲: وقال سبحانه?: قالوا یا موسی إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فیها فاذهب أنت وربک فقاتلا إنا ههنا قاعدون ().?

۳: وقال تعالی?: لقد أخذنا میثاق بنی إسرائیل وأرسلنا إلیهم رسلاً کلما جاءهم رسول بما لا تهوی أنفسهم فریقاً کذبوا وفریقاً یقتلون ().?

۴: وقال سبحانه?: الذین عاهدت منهم ثم ینقضون عهدهم فی کل مرة وهم لا یتقون().?

۵: وقال تعالی?: قل یا أیها الذین هادوا إن زعمتم أنکم أولیاء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن کنتم صادقین().?

۶: وقال سبحانه?: إن الذین اتخذوا العجل سینالهم غضب من ربهم وذلة فی الحیاة الدنیا وکذلک نجزی المفترین().?

هذا وقد کان تعامل الرسول الأعظم صلی الله علیه و اله مع الیهود بأحسن ما یمکن، وفی قمة الأخلاق، فقد أکرمهم وعفی عنهم

وضـمن لهم الحرية فى مختلف جوانب حياتهم واقامة شـعائرهم و..فكان ذلك سـبباً فى اسـلام كثير منهم، وقد فصـلنا ذلك فى بعض كتبنا().

لقـد وقى الله النزعة القومية المتعصـبة، ووقاه شـر إكراه الناس على اعتناق مبادئه أو التنكيل بالمخالفين له فى الرأى، فقد كان الإسـلام دائماً ديناً سـمحاً يؤمن بالحرية العقيدية ومبدأ التعايش السـلمى بين معتنقى المبادئ المختلفة، ويعتبر أهل الكتاب متساوين مع بنيه فى الحقوق والواجبات بطريقة أو بأخرى.. حتى قال فيهم صلى الله عليه و اله: (من آذى ذميا فقد آذانى)().

التعامل مع الزردشتيين

يعـد الزردشتيين كـاليهود والمسـيحيين من أهـل الكتـاب، والقرآن جعلهم بمسـتوى أهل الكتاب، كما وردت بعض الأخبار والروايات الإسلامية فى عد المجوس من أهل الكتاب()، منها: ما ورد عن النبى الأكرم صلى الله عليه و اله قوله: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب)().

فعلى هذا يكونون مشمولين أيضاً بمعاهدة الذمة وفى الاعتبارات الحقوقية والاجتماعية لا يختلفون عن أهل الكتاب.

فإن لم يكن النبى صلى الله عليه و اله قد عقد مع المجوس عهداً مباشرة، فقد أمر مبعوثه

العلاء بن الحضرمى أن يعقد معهم عهداً فى البحرين، وكان يأخذ منهم الجزية، كما سبق.

إضافة إلى روايات أخرى وردت عن النبى صـلى الله عليه و اله فى جواب أهل مكة الذين طلبوا منه صـلى الله عليه و اله أن يقبل منهم الجزية مقابل بقائهم على عبادة الأوثان والأصنام، فقال لهم صلى الله عليه و اله": لم أقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، "ثم خاطب أهل مكـة الـذين اعترضوا على قبول الجزيـة من المجوس ولم يقبل منهم، بقوله صـلى الله عليه و اله: كان للمجوس نبى وقـد قتلوه، وأيضـاً كان لهم كتاب سماوى قد نزل عليهم وقاموا بإحراقه، وقد عرض عليهم نبيهم كتابه السماوى فى اثنى عشر جلد من جلود البقر.

وقال أمير المؤمنين على عليه السـلام بشأن المجوس: (أنا أعلم الناس بأحوال المجوس، كان لهم كتاب يقرؤونه، وكانوا يستفيدون من علم النبوة، ثم نظف من قلوبهم).

ومن هذه الروايات فقد صـرح المشـهور من الفقهاء بعدم قبول الجزية وعهد الذمة من أى فريق عدا اليهود والنصارى والمجوس، حتى أن العلامة الحلى رحمة الله عليه جوز النكاح الموقت من نساء المجوس، ورآه جائزاً.

احترام المعاهدات والمواثيق

من قبل الدولة الإسلامية

والأصل الآخر من أصول السـياسة الخارجية للدولة الإسـلامية التى سـنها رسول الله صلى الله عليه و اله فى أول حكومة إسلامية أسسها فى المدينة المنورة: هو احترام المعاهدات والمواثيق مطلقاً.

فالمعاهدات العالمية والدولية التى التزمت بها الحكومة الإسلامية محترمة ولا يجوز نقضها.

فلو أن الدولـة الإسـلامية رأت أن من صـلاحها وبـدون إجبـار وإكراه أن تعقـد اتفاقاً مع دولـة أخرى أو مع أشـخاص أو مع شـركات مرتبطـة بـدول خارجيـة، فعليها أن تلتزم بعهدها وميثاقها، وتبقى وفية على العهد، وقد أشار القرآن الكريم وأحاديث الأئمة المعصومين (عليهم السلام) إلى هذا الأصل السياسى والأخلاقى، يقول القرآن الكريم?: يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود().?

وقال عز وجل?: والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون().?

وقال سبحانه?: وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلًا إن الله يعلم ما تفعلون().?

وقال تعالى?: إلا الذين عاهدتم من المشـركين ثم لم ينقصوكم شـيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله

يحب المتقين().?

وكان أئمة المسلمين أيضاً يحترمون العهود والمواثيق ويوفون بعهدهم، وكثيراً ما كانوا يؤكدون ويوصون بذلك، ففى عهد الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام تتجلى هذه الحقيقة وهو عهد كتبه لمالك الأشتر:

(وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود)().

وقال النبى صلى الله عليه و اله: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد)().

وقال صلى الله عليه و اله: (يجب على المؤمن الوفاء بالمواعيد والصدق فيها)().

وهذه الأحاديث تشمل بعمومها أو اطلاقها جميع العهود: الفردية والدولية، مع المسلمين أو غيرهم، كما هو واضح.

الوفاء بالمعاهدات

عقد النبى صلى الله عليه و اله معاهدة مع المشركين فى صلح الحديبية تنص على أنه لو فر أحد من قريش من مكة إلى المدينة فليسلّم إليهم..

وبعد انتهاء العقد فر (أبو بصير بن أسيد بن حارثة) من مكة ودخل المدينة، وكان قد أسلم حديثاً.

فأرسلت قريش أحد أفرادها إلى النبى صلى الله عليه و اله وطلبت منه العمل بموجب المعاهدة وأن يسلمهم أبا بصير.

فقال النبى صلى الله عليه و اله لأبى بصير: إنى قد عقدت مع أهل قريش معاهدة أقوم بموجبها فى تسليم الفارين منهم، وليس فى ديننا غدر، ولايجوز أن نخلف الوعد، فاذهب أنت معهم، وكن مطمئناً بأن الله سيجعل لك سبيل النجاة بأسرع ما يكون.

فقال أبو بصير: يا رسول الله! أتسلمنى إلى المشركين ليأخذوا دينى؟

فقال صلى الله عليه و اله: يا أبا بصير! ينبغى علىّ الوفاء بالعهد، فاذهب أنت معهم، وكن على يقين بأن الله سيجعل لك فرجاً ومخرجاً ().

وهكذا أكد رسول الله صلى الله عليه و اله على لزوم احترام العهود والمواثيق، حتى مع الكفار.

وكذلك فإن النبى صلى الله عليه و اله فى أحد القوانين السياسية والحكومية لعمرو بن حزم الذى أرسله إلى اليمن ليطلع الناس على تعاليم الإسلام، كتب له:

طبق على كل أهالى اليمن حتى اليهود والنصارى منهم قوانين الإسلام، أى ما فى الإسلام من الرأفة والرحمة وما يجب على الدولة الإسلامية من الحفاظ على أموال وأمن وأعراض رعيته.

وجاء فى الفقرة (٢١) من هذا العهد:

(وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه، ودان بدين الإسلام، فإنه من المؤمنين، له مثل مالهم، وعليه مثل ما عليهم، ومن كان على نصرانية أو يهودية فإنه لا يرد عنها).

وفى معركة صفين اضطر أمير المؤمنين على عليه السلام أن يعقد صلحاً مع معاوية لوقف الحرب فاقترح عليه الخوارج أن ينقض العهد، فقال لهم: ويحكم أبعد الرضا والعهد نرجع؟ أو ليس الله يقول?: أوفوا بالعقود()، ?وقال?: وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون().?

نعم، إن النبى صلى الله عليه و اله وأئمة الهدى عليهم السلام كانوا يوفون بالمعاهدات الشخصية والاجتماعية وهذا من علامات الإيمان والإسلام.

ولم ينقض العهد إلا فى حالة نقض الطرف الآخر للمعاهدة، كما جاء فى الآيات القرآنية?: وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا

فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنه لا أيمان لهم لعلهم ينتهون().?

وهذا القانون قد جاء بيانه فى نصوص الروايات وألسنة الفقهاء، كما فصلناه فى الفقه.

قانون الإلزام فى التعامل مع غير المسلمين

وهناك قانون آخر يدل على عظمة الإسلام ورحمته الواسعة يسمى بقانون الإلزام، حيث انه يكون التعامل مع غير المسلمين والأجانب من أتباع الأديان الأخرى على طبق قوانينهم وإلزامهم بمقرراتهم.. وهذا القانون بنفسه يجرى فى أتباع المذاهب الأخرى فقد أشارت رواياتنا إلى هذه الناحية قائلًا: (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم)().

وفى رواية أخرى عن محمد بن مسلم، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (يجوز على أهل كل دينٍ ما يستحلون)().

فالأقليات وغيرهم من سائر الأديان والمذاهب أحرار فى نطاقهم أن يعملوا بما هو جائز عندهم وما ألزموا به أنفسهم، فمثلا: لا يمنع أهل الكتاب حتى من يعيش منهم فى الدولة الإسلامية من شرب الخمر فى بيوتهم وهكذا..

وقد أفتى الفقهاء بالضمان إذا غصب المسلم خمر الكافر الذمى أو خنزيره أو ما أشبه، قال المحقق (قدس سره) فى الشرائع:

(ولا تضمن الخمر اذا غُصبت من مسلم ولو غصبها الكافر، وتضمن اذا غُصبت من ذمى مستتراً ولو غصبها المسلم، وكذا الخنزير) ().

وعلى أساس هذه القاعدة الفقهية التى هى من الأصول المسلمة فى العهود والمواثيق الدولية، يكون التعامل والعمل مطابقاً مع الأعراف الدولية، حسب ما قرره المسلمون معهم وقد ذكرنا تفصيلًا (حول قاعدة الإلزام) فى كتاب الفقه (القواعد الفقهية)().

الخاتمة

وكان هذا موجزاً عن حكومة رسول الله صلى الله عليه و اله وهى أول حكومة إسلامية عقدت فى المدينة المنورة، وكانت نموذجا صالحا لجميع الحكومات فى طول التاريخ، الإسلامية وغيرها.

قال تعالى?: لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة()، ?فيجب على جميع الحكومات الإسلامية الاقتداء بهذه الحكومة المباركة، التى أسسها رسول الله صلى الله عليه و اله واستخلف صلى الله عليه و اله أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام يوم غدير خم بأمر من الله تعالى ليكون خليفته ووصيه والإمام من بعده.. فكان عليه السلام فى حكومته كما كان عليه رسول الله صلى الله عليه و اله، وقد شهد بذلك التاريخ وتفصيل الكلام فى المفصلات، والله الموفق المستعان.

اللهم إنا نرغب إليك فى دولة كريمة، تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة().

قم المقدسة ۱۰ / صفر / ۱۴۱۹ه محمد الشيرازى

پی نوشتها

() للتفصيل راجع كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم) ج۱-۲ للإمام المؤلف (دام ظله).

() أصل الكتاب باللغة الفارسية، وقد ألفه العلامة السيد محمد الثقفى.

() سورة الحجرات: ۱۳.

() نهج البلاغة: الخطبة ۱۹۲/ المقطع ۹۳-۹۷.

() بحار الأنوار: ج۱۴ ص ۴۷۱ باب ۳۱ ح۳۷.

() سورة العلق: ۱.

() بحار الأنوار: ج۱۸ ص۲۲۳ باب۱ ح۶۱.

() قال تعالى?: فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين، ?سورة الحجر: ۹۴.

() راجع بحار الأنوار: ج۳۵ ص۸۶ باب۳ ح۳۱.

() راجع تفسير القمى: ج۲ ص۲۸۸ تفسير سورة ص، وفيه: (فقال لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما أردته ولكن يعطونى كلمة يملكون بها العرب وتدين لهم بها العجم ويكونون ملوكا فى الجنة).

() راجع سعد السعود: ص۱۳۳، وفيه:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم

حتى أوسد فى التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة

وابشر بذاك وقر منه عيونا

ودعوتنى وزعمت أنك ناصح

ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وعرضت ديناً لا محالة أنه

من خير أديان البرية ديناً

() راجع العمدة: ص۴۱۵ فصل ما جاء فى أبى طالب عليه السلام. وبحار الأنوار ج۳۵ ص۱۴۶ ب۳

() سورة مريم: ۱.

() سورة الشرح: ۵و۶.

() بحار الأنوار: ج۳۵ ص۱۷۷ باب۳ ح۸۵.

() سورة القلم: ۴.

() المناقب: ج۱ ص۵۶.

() راجع الطرائف: ص۳۹۵، وفيه: (فقال ليس ذلك إلىَّ إنما إلى الله عز وجل يجعله حيث يشاء).

() سورة البقرة: ۲۰۱.

() راجع تفسير القمى: ج۲ ص۲۸۸ تفسير سورة ص، وفيه: (فقال لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما أردته ولكن يعطونى كلمة يملكون بها العرب وتدين لهم بها العجم ويكونون ملوكا فى الجنة).

() سورة الأعراف: ۱۵۷.

() سورة الفتح: ۲۶.

() سورة المائدة: ۱۰۴.

() سورة الجاثية: ۲۴.

() سورة الحشر: ۱۱.

() الأمالى للشيخ الصدوق: ص۶۱ المجلس۱۴ ح۱۱.

() وهو: كونستان كوركيو.

() تحف العقول: ص۳۴، خطبته عليه السلام فى حجة الوداع.

() سورة البقرة: ۱۴۳.

() سورة آل عمران: ١١٠.

() سورة الأنبياء: ٩٢.

() سورة المؤمنون: ٥٢.

() سورة آل عمران: ١١٣.

() سورة الحج: ٣۴.

() سورة الحشر: ٨-١٠.

() سورة آل عمران: ١۵٩.

() بحار الأنوار: ج١ ص ١١٠و ١١١.

() مسند أحمد بن حنبل: ج٢١ ص ١٠ ط دار المعارف القاهرة ١٩۶٨م.

() عيون الأثر: ج١ ص ١٩٨ ط بيروت ١٩٧٠م.

() الأموال: ط مصر، فصل ۵١٧.

() البداية والنهاية: ج٣ ص ٢٢۴ ٢٢۶.

() أنساب الأشراف: ج١ ص ٢٨۶ ٣٠٨ (ط مصر).

() المناقب: ج١ ص۵۶ فصل فيما لاقی عليه السلام من الكفار فی رسالته.

() سورة النحل: ٣۶.

() سورة الممتحنة: ١٢.

() سورة الممتحنة: ١٢.

() راجع كتاب (ولأول مرة فی تاريخ العالم) ج٢ للإمام المؤلف (دام ظله).

() سورة الأعراف: ١۵٧.

() سورة الحج: ٣٩.

() سورة البقرة: الآية ١٩٣.

() سورة الحجرات: الآية ٩.

() فان سكانها اكثر من ٢٠٠ مليون نسمة، ونسبة المسلمين فيها ٩٠٪ وهی أكبر دولة اسلامية بالعالم من حيث النفوس، ومساحتها ١٩١٩٢٧٠كم٢ وتقع فی جنوب شرق آسيا، كما تتألف من ١٣۵٠٠ جزيرة، عاصمتها (جاكرتا).

() راجع بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢ باب ٧٠ ح١.

() راجع للتفصيل كتاب (ولأول مرة فی تاريخ العالم) للإمام المؤلف (دام ظله).

() سورة الأنفال: ۶۵.

() سورة البقرة: الآية ٢۴٩.

() راجع كتاب (ولأول مرة فی تاريخ العالم): ج١ ص٢٣٨و٢٣٩.

() حول هذه القصة راجع بحار الأنوار: ج٢١ ص٨۵ باب٢۴ ح١١.

() وهذا قد يشبه حادثة قتل ولی عهد النمسا (سراجيو) فی سنة (١٩١۴م) الذی أدى إلى نشوب الحرب العالمية الأولى والتی اشتركت فيها الدول الأوروبية جميعاً.

() راجع (ولأول مرة فی تاريخ العالم): ج١ ص٢۶٩ للإمام الشيرازی (دام ظله).

() راجع (ولأول مرة فى تاريخ العالم): ج ۱ ص ۲۶۹.

() راجع (ولأول مرة فى تاريخ العالم): ج ۱ ص ۲۷۱ — ۲۷۳.

() قد سبق تفصيل القصة، راجع الصفحة ۸۵ من هذا الكتاب.

() قاله رسول الله عليه السلام فى فتح مكة المكرمة حيث عفا عن الجميع حتى عن كبار المجرمين، راجع (ولأول مرة فى تاريخ العالم) ج ۳ ص ۶۱-۹۲.

() وهو المستشرق المعروف: (مونتكمرى وات).

() سورة النحل: ۱۲۵.

() سورة آل عمران: ۲۰.

() الكافى: ج ۲ ص ۵۶ ح ۳.

()نهج البلاغة: الخطبة ۳۴، المقطع ۹و۱۰.

() سورة الجمعة: ۲.

() تحف العقول: ص ۲۵.

() بحار الأنوار ج ۱ ص ۱۷۷ ب ۱ ح ۵۴. والبحار ج ۲ ص ۳۱ ب ۹ ح ۲۰.

() المحاسن: ص ۵۹ ح ۹.

() منية المريد: ص ۱۴۸ فصل فى مكايد الشيطان وأهمية الإخلاص.

() راجع من لاـ يحضره الفقيه: ج ۴ ص ۳۹۸ باب ۲ ح ۵۸۵۳، وفيه: (إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس فى صعيد واحد ووضعت الموازين فتوزن دماء الشهداء مع مداد العلماء فيرجح مداد العلماء على دماء الشهداء).

() راجع فتوح البلدان للبلاذرى.

() راجع الاختصاص: ص ۲۲۱.

() الخصال: ص ۵۷۲ أبواب السبعين، الحديث ۱.

() هو عبد الحى الكتانى.

() راجع الصفحة ۱۰۰ من هذا الكتاب.

() راجع كتاب (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) لابن عبد البر.

() هو الماوردى نقله عن ابن قتيبة.

() يعتبر هذا الكتاب من (ودائع الإمامة) وهو موجود عند الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف).

() حول الحكومة الإسلامية وكيفيتها راجع للإمام المؤلف دام ظله: (الفقه: الحكم فى الإسلام) و(هكذا حكم الإسلام) و (الفقه: طريق النجاة) و (إذا قام الإسلام فى العراق) و(الى حكم الاسلام) و(الفقه: السياسة) و...

() راجع كتاب (ولأول مرة فى تاريخ العالم) ج ۱و۲ للإمام المؤلف (دام ظله).

() سورة الأعراف: ۱۵۷.

() سورة الأنعام: ۱۶۴.

() سورة البقرة: ۱۴۱.

() سورة النجم: ۳۹.

() سورة المدثر: ۳۸.

() غوالی اللئالی: ج۱ ص۱۲۹ ح۳.

() سورة الحجرات: الآية ۱۳.

() راجع شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید: ج۱۸ ص۱۳۴، وفیه: (قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم...یا عباس بن عبد المطلب إنی لا أغنی عنک من الله شیئا إن أکرمکم عند الله أتقاکم).

() راجع بحار الأنوار: ج۷۲ ص۱۴۶ باب ۵۶ح۱۹.

() سورة سبأ: ۲۸.

() الکافی: ج۲ ص۳۰۸ ح۷.

() الکافی: ج۲ ص۳۰۷ ح۱.

() الکافی: ج۲ ص۳۰۸ ح۴.

() یقع هذا الکتاب فی ۱۰۴ صفحة من الحجم المتوسط وطبع مکررا. الطبعة الأولی ۱۴۰۹ه دار الفردوس، بیروت لبنان. یبحث الکتاب عن جوانب من الشوری، المشیر والمستشیر، المشورة، الأحزاب الدیمقراطیة والدکتاتوریة، جملة من روایات المشورة.

() سورة الشوری: ۳۸-۳۹.

() سورة آل عمران: ۱۵۹.

() راجع تفسیر القمی: ج۱ ص۲۵۸ سورة الأنفال.

() بحار الأنوار ج۷۴ ص۱۴۱ باب۷ ح۱.

() غرر الحکم ودرر الکلم: ص۴۴۲ الحدیث۱۰۰۸۳.

() غرر الحکم ودرر الکلم: ص۴۴۲ الحدیث۱۰۰۸۲.

() غرر الحکم ودرر الکلم: ص۴۴۲ الحدیث۱۰۰۶۵.

() مصباح الشریعة: ص۱۵۲ باب۷۲ فی المشاورة.

() مصباح الشریعة: ص۱۵۲ باب۷۲ فی المشاورة.

() راجع موسوعة الفقه: ج۴۸ ص۱۵۵ کتاب الأمر بالمعروف والنهی عن المنکر.

() سورة آل عمران: ۱۰۴.

() سورة آل عمران: ۱۱۰.

() تحف العقول: ص۳۴ خطبته علیه السلام فی حجة الوداع.

() راجع کتاب صبح الأعشی للنقشبندی.

() راجع بحار الأنوار: ج۲۱ ص۲۳۲ باب ۲۹، وفیه: (اخلفنی فی أهلی).

() راجع بحار الأنوار: ج۲۸ ص۱۰۷ باب۳ ح۳ وفیه: (فقال: لهن اسـمعن ما أقول لکن وأشار بیـده إلی علی بن أبی طالب ? فقال لهن هذا أخی ووصیِّ ووارثی والقائم فیکن وفی الأمة من بعدی فأطعنه فیما یأمرکن به ولا تعصینه)، الحدیث.

() راجع کتاب (إذا قام الإسلام فی العراق) ص۶۷-۶۹، للإمام المؤلف دام ظله.

() نهج البلاغة: الکتاب ۵۳ المقطع ۷۵-۷۷.

() المقنعة ص۲۵۵ باب الزیادات فی الزکاة، الحدیث ۲۸.

() کان من شیعة علی علیه السلام.

() راجع (تاریخ الخلفاء) لجلال الدین السیوطی.

() هو ابن كبر فى ألفيته، فراجع.

() سورة التوبة: ۱۰۳.

() راجع (مقتطفات من تاريخ المدينة المنورة) ص ۴۰ للإمام الشيرازى دام ظله.

() سورة النساء: ۶۵.

() سورة ص: ۲۶.

() سورة المائدة: ۴۲.

() سورة المائدة: ۴۲.

() سورة المائدة: ۴۸.

() كشف الغمة: ج۱ ص۲۶۳.

() راجع (كشف الظنون) للحاجى خليفة وكذلك كتاب (أقضية رسول الله عليه السلام تأليف العالم الأندلسى محمد بن فرخ بن طلاع المتوفى سنة (۴۹۷ه) وهو من أوائل الكتب المؤلفة فى أقضية الرسول عليه السلام، وهو كتاب خطى موجود فى مكتبات تونس، والمكتبة الرضوية، وأضاف العالم المغربى كتانى كتباً اخرى فى كتابه (نظام الحكومة النبوية)[ج۱ ص ۲۵۳-۲۵۶]، وقد أشار إليها بالتفصيل، فقد فهرس أبواب الحقوق التى أصدر بها نبى الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) فتاواه، وقام بنشرها.

() دعائم الاسلام: ج۲ ص۵۱۸.

() راجع مستدرك الوسائل: ج۱۷ ص ۳۵۰ باب۳ ح۲۱۵۴۶، وفيه: (اعلم أنه يجب عليك أن تساوى بين الخصمين حتى النظر إليهما حتى لا يكون نظرك إلى أحدهما أكثر من نظرك إلى الثانى).

() وهى قاعدة (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم) راجع للتفصيل كتاب (القواعد الفقهية) للإمام الشيرازى (دام ظله).

() مستدرك الوسائل: ج۱۳ ص۳۰۸ باب۱۳ ح۱۵۴۴۳.

() راجع كتاب (اذا قام الاسلام فى العراق) ص ۹۹ للإمام المؤلف، تحت عنوان (الموظفون والاصلاح الادارى).

() كشف الغمة ج۱ ص۲۶۳.

() راجع كتاب (حياتنا قبل نصف قرن) و(بقايا حضارة الاسلام كما رأيت) للإمام المؤلف (دام ظله).

() راجع موسوعة الفقه ج۱۰۰ كتاب الحقوق، وكتاب (كيف ينظر الإسلام الى السجين) للإمام المؤلف (دام ظله).

() راجع العمدة: ص۲۵۷ ح۴۰۰، وكشف اليقين ص۴۸.

() كشف الغمة: ج۱ ص۲۶۳.

() نهج البلاغة: الكتاب۶۰ المقطع ۱-۵.

() نهج البلاغة: الكتاب۵۳ المقطع ۱۰۹و۱۱۰.

() نهج البلاغة: الكتاب ۵۳ المقطع ۱۲۷و۱۲۸.

() وهج الفصاحة: باب ما أوله" ميم."

() سورة الأنبياء: ۱۰۷.

() سورة الأعراف: ۱۵۷.

() سورة الأعراف: ۱۵۸.

() سورة سبأ: ۲۸.

() سورة المائدة: ۶۷.

() سورة الأنبياء: ۹۲.

() سورة الأعراف: ۱۵۷.

() سورة المائدة: ۵۵.

() سورة الحديد: ۲۵.

() سورة النساء: ۱۳۵.

() نهج البلاغة: الخطبة۲۲۴ المقطع ۱۰و۱۱.

() راجع كتاب (إذا قام الإسلام فى العراق) ص۷۷ و ۸۱ تحت عنوان (العلاقات الدولية) و(حسن الجوار).

() ص ۲۴۶.

() بحار الأنوار: ج ۲۰ ص۳۸۶ باب ۲۰ ح۸.

()سورة آل عمران: ۶۴.

() بحار الأنوار: ج ۲۰ ص۳۸۹ باب ۲۰ ح۸.

() راجع بحار الأنوار: ج ۲۰ ص۳۹۲ باب ۲۰ ح۸.

() سورة آل عمران: ۶۴.

() راجع بحار الأنوار: ج ۲۱ ص۲۳ باب ۲۲ ح۱۷، وقد أشار العلامة المجلسى (قدس سره) إلى أصل الرسالة من دون ذكر نصها.

() راجع بحار الأنوار: ج ۲۰ ص۳۸۲ باب ۲۱ ح۸ وقد أشار العلامة المجلسى (رحمه الله) إلى أصل الرسالة من دون ذكر نصها.

() سورة آل عمران: ۶۴.

() راجع بحار الأنوار: ج ۲۱ ص۵۸ باب۲۴ ح ۱۱، وقد أشار العلامة المجلسى ?إلى أصل الرسالة من دون ذكر نصها.

() راجع بحار الأنوار: ج ۲۱ ص ۴۹باب۳۲ ح۳، وقد أشار العلامة المجلسى إلى أصل الرسالة من دون ذكر نصها.

() راجع بحار الأنوار: ج ۲۰ ص۳۹۴ باب ۲۰ ح۸، وقد أشار العلامة المجلسى إلى أصل الرسالة من دون ذكر نصها.

() راجع بحار الأنوار: ج۱۸ ص۱۳۸ باب ۱۱ ح۳۹، وقد أشار العلامة المجلسى (قدس سره) إلى أصل الرسالة من دون ذكر نصها.

() راجع (الطبقات) لابن سعد.

() سورة الأنعام: ۱۹.

() سورة آل عمران: ۶۴.

() سورة النصر: ۱- ۳.

() سورة ص: ۸۷ و۸۸.

() سورة يس: ۶۹ و ۷۰.

() سورة الفرقان: ۱.

() سورة سبأ: ۲۸.

() سورة النحل: ۸۹.

() سورة الأنعام: ۳۸.

() سورة الأحقاف: ۹.

() سورة النحل: ۱۲۳.

() سورة البقرة: ۱۰۵.

() سورة آل عمران: ۱۲۰.

() سورة آل عمران: ۱۴۹و۱۵۰.

() سورة البقرة: ۱۲۰.

() راجع علل الشرائع: ص۳۷۶ باب۱۰۳ ح۲، وفيه: (ما من مولود ولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه)، الحديث.

() سورة النساء: ۱۴۱.

() مستدرك الوسائل: ج۱۷ ص۱۴۲ باب۱ ح۲۰۹۸۵.

() سور الممتحنة: ۸ و ۹.

() سورة الأنفال: ۶۱.

() سورة التوبة: ۴.

() سورة البقرة: ۶۲.

() سورة الحج: ۱۷.

() سورة المائدة: ۸۲.

() راجع بحار الأنوار: ج۱۸ ص۴۱۲ باب۴، وفيه: (إن بها ملكا لا يظلم ولا يظلم عنده أحد، فاخرجوا إليه حتى يجعل الله عز وجل للمسلمين فرجا).

() راجع بحار الأنوار: ج۱۸ ص۴۱۹ باب۴ ح۵، وفيه: (فإني أدعوك وجيرتك إلى الله تعالى وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى).

() سورة الحشر: ۱۴.

()سورة المائدة: ۲۴.

()سورة المائدة: ۷۰.

()سورة الأنفال: ۵۶.

()سورة الجمعة: ۶.

()سورة الأعراف: ۱۵۲.

() راجع كتاب (لأول مرة في تاريخ العالم) ج۱ و۲، و(مقتطفات من تاريخ المدينة المنورة) و..

() الصراط المستقيم ج۳ ص۱۳ باب۱۲.

() راجع بحار الأنوار ج۱۰ ص۱۱۹ باب۸ ح۱، وفيه: (قال الأشعث بن قيس يا أمير المؤمنين كيف تؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب ولم يبعث إليهم نبي قال: بلى يا أشعث قد أنزل الله تعالى عليهم كتابا وبعث لهم نبيا) وراجع موسوعة الفقه ج۴۷-۴۸ كتاب الجهاد.

() راجع غوالي اللئالي ج۲ ص۹۹ ح۲۷۳، وفيه: (في أخبار أهل البيت: ?إن المجوس كان لهم نبي فقتلوه وكتاب فحرفوه لهذا قال النبي عليه السلام: سنوا بهم سنة أهل الكتاب)

() سورة المائدة: ۱.

() سورة المؤمنون: ۸.

() سورة النحل: ۹۱.

() سورة التوبة: ۴.

() نهج البلاغة: الکتاب۵۳ المقطع ۱۳۳-۱۳۵.

() الکافی: ج۲ ص۶۴ ح۲.

() راجع بحار الأنوار: ج۷۲ ص۹۶ باب ۴۷ ح۱۸.

() راجع کتاب (ولأول مرة فی تاریخ العالم): ج۲ ص۱۹ تحت عنوان (من برکات صلح الحدیبیة).

() سورة المائدة: ۱.

() سورة النحل: ۹۱.

() سورة التوبة: ۱۲.

() راجع التهذیب: ج۹ ص۳۲۲ باب۴ ح۱۲ وفیه: (ألزموهم بما ألزموا أنفسهم).

() راجع الاستبصار ج۴ ص۱۴۸ باب۹۱ ح۱۰ وفیه: (یجوز علی کل ذی دین ما یستحلون).

() شرائع الاسلام، القسم الرابع، کتاب الغصب. وراجع أیضاً (موسوعة الفقه) للإمام الشیرازی (دام ظله) ج۷۸ کتاب الغصب ص ۷۸-۸۹ المسألة ۷ و۸ تحت عنوان (ضمان الخمر المحترمة) و(اتلاف الخمر المحترمة).

() القواعد الفقهیة: ص۶۹-۸۰.

() سورة الأحزاب: ۲۱.

() دعاء الافتتاح، راجع (مفاتیح الجنان) و(الدعاء والزیارة) فی أعمال لیالی شهر رمضان المبارک.

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علـَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشـَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ-

فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جـهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی " القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع " ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التـِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِی الحجمَ المتزايد و المتـّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفـِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.